THE BOOK WAS DRENCHED

*

كتاب عصرى

بحث فى آداب المرأة وواجباتها وحقوقها فى جميع أدوار
حياتها نحو أعضاء الاسرة على اختلاف درجاتهم وغيرهم ممن
تخلطها بهم روابط المعاملات فى الحياة



قلم المطبوعات بالداخلية



الطبعة الأولى

بالقاهرة فى سنة ١٣٤٣ — ١٩٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

حامداً ومصلياً

مما أجمعت الآراء عليه أن البيت لا يدخله الهناء ولا يستتب فيه الوئام ويسود الصفاء الا بامرين : ادب الرجل. وعلمه وذكاء المرأة وصلاحها . وليس هنا موضع النظر الى الشطر الاول من هذه المسألة الاجتماعية فنحن ننظر الى الشطر الثانى فنرى الباحثين يكادون يجتمعون على طلب تعليم الفتاة العلوم التى يتعلمها الفتى ومنهم من يريد ان يخصها بنصيب يناسب حالتها ويعفيها من الباقى اذ يود أن تكون المرأة على شيء من العرفان يخرجها من صفوف الجاهلات لا أن تكون حجة يرجع اليها فى المشكلات

وعندنا أن هذا الرأى أجدى نفعاً وأقرب الى المقصود من وظيفة المرأة فى حياتها البيتية . وهو لا يمنع من تعليم بعض الفتيات العلوم العالية لاستعداد خاص فيهن وتوفيق للنبوغ وبشرط أن يكون لهن من الثروة ما يغنيهن عن أداء واجباتهن بأنفسهن . واذ كان هذا الفريق من النسوة قليلا فالأولى تعليم الفتاة ما لا بد منه من العلوم والمعارف اجمالا لتكون على شيء يرفعها ، كما قلنا ، عن طبقة الجهل والغبا

اما ما لا بد منه ولا غنى عنه فهو تهذيب نفوس الفتيات وتنشئتهن على معرفة ما لهن وما عليهن من الحقوق والواجبات، فتيات وزوجات وامهات ، مع ما يتعلق بهذه الادوار من المعاملات مع الاهل والاقارب والمعارف والجيران والخدم ، وبالجملة مع كل من له صلة بالبيت مباشرة أو غير مباشرة ، وهذه شؤون دقيقة

تحتاج الفتاة فى معرفتها الى خبيرين تتلقى منهم بالسماع والرؤية والقدوة ، أو الى كتاب حافل ببيان حقوق المرأة وواجباتها فى أدوار حياتها، وما يحيط بها فيها من الظروف، والاحوال التى تقضى بها ضرورة الاختلاط بتلك الطبقات وحاجة التعامل معها

ولقد كنت منذ نحو العشرين عاماً اقتنيت مصنفات الكاتبة الاديبة الاريبة البارونة (ستاف) الثقة عند الفرنسيين فى آداب الاجتماع والمحققة التى يرجعون اليها فى حل معضلات الحيـاة فى الأسرة فألفيتها كلها من المصنفات الحقيقة بالنقل الى اللغة العربية ليهتدى المصريون فى تطورهم الاجتماعى الحديث بآرائها الاصيلة ويتخذوها نبراساً لهم فى دياجى الاقتداء بالامم الراقية والاخذ بالصالح من تقاليدها فى الأدب المنزلى وعادات الرجال والنســاء فى الاندية والمجامع . غير انى رأيت الترجمة الصرفة فضلا عما تستدعيه من الأسهاب ، لأفاضة المؤلفة فى مباحثها بما يتفق مع أحوال الوسط الذى تكتب لاهله ، تجور عن القصد الذى اليه أرمى بالرغبة فى ابراز افكارها وآرائها فعمدت الى الاقتباس مراعيا فيه جمل ما عم وشمل من هذه الافكار والآراء هيكلا أفرغت عليه حلة التمصير فتجلى للابصار فى شكل كتيب لم تكن موضوعاته مع الاحتفاظ بعناوينها الاولى ، لا بالترجمة البحتة ولا بالتأليف المطلق . والمرجو أن تجىء مطالعته والتمسك بما تضمنه من المبادىء العالية فى أدب الاجتماع بفائدة ظاهرة الاثر فى اجتماعنا المنزلى

واذ طابق تحرير هذه المقدمة وصول الانباء باسناد منصب وكالة الداخلية الى العالم المحقق والقانونى المدقق « محمد حلمى عيسى باشا » لاح لى أن أهدى اليه هذا الكتيب، وهو باكورة ما أهديت ، ابتهاجا بعودة السيف الى قرابه والحق الى نصابه واشادة بمآثر له فى سبيل العلم والوطن سارت فى البلاد مسرى الامثال وتطابقت الالسنة من أجلها عليه بالشكر والثناء

*

المرأة فتاة

مهمة الفتاة فى دار والديها

يطلب من الفتاة فى كنف والديها أن تجمع إلى النظافة وحسن البزّة الأدب الجمّ مع الغير، وأن تشبه فى محاسن الشيم وغوالى الصفات الزهرة الزاهية فى الحديقة الغناء، يضوع أريجها في الأرجاء وتنطلق الألسن عليها بجميل الثناء.

يتفق لوالديها فى الشدائد والأحن، أن يتقطب جبينهما ويعبس وجههما، وأن يكونا بحاجة إلى تسرية الهموم عن قلبهما. فمن المطالب بأداء هذا الواجب المحتوم؟

أنت أيتها الفتاة! بما تبدينه من وسامة الوجه وبسامة

الثغر ولنظرة واحدة منهما إليك وأنت كذلك ، تكفى لتبديد غيوم تلك الهموم ، وإعادة الرجاء إلى موطنه من قلبهما ، بعد إذ تملكه القنوط واليأس .

ولن تنال فتاة هذا الشرف الأسنى ، إلا إذا عملت لأصابته بالدأب على رعاية ذلك الواجب . فأن الناس لايلبثون عندئذ أن يذكروا فى حديثهم عن أسرتها أنها من السعادة والهناء بما تغبط عليه ، لوجودها درّة فى تاجها ، وبدراً فى سمائها . إذا توارت لحظة شعر الناس باحتجابها . لأنها تكون كالنور الساطع ، إذا احتجب يعقبه الظلام الحالك الذى لا هداية فيه إلى خير ، ولا قدرة معه على إحسان .

تلك السعادة ينبغى أن تكون من الفتيات مطمح أنظارهن فى كنف والديهن ، ليحظين بمثلها إذا تزوجن وتولين إدارة منازلهن

الفتاة حيال والدتها

الوالدة فى الأسرة كالمركز للدائرة ، ينتهى عندها كل أمر . فأن تكن الأسرة فى هناء فهي مصدره ؛ أو تكن فى شقاء فأليها يرجع سببه .

ألق نظرك إلى أسرة حرمت تدبير رئيستها ، لمرض أو موت أو سبب غيرهما ، توقن أنها أصبحت كالنبت الذى نسي غارسه تعهده بالريّ ، ومشارفته بالعناية ، فأذواه العطش فمات .

وينبغي أن يكون من أمانيّ البنت لأمها ، أن تتقوى عزمتها ويمدّ الله في أجلها ، لتستقرّ السعادة فى الأسرة ببقائها . غير أن هذه الأمنية لا تنهض وحدها دليلا على محبة البنت للأم ، إلاّ إذا اقترنت بالنشاط الى معاونتها على أداء الفروض البيتية التى انقضت السنوات الطوال وهى تنوء بحملها .

وفوائد هذه المعاونة تجلّ عن الحصر . وأقلها تدرّب

الفتاة على أعمال توشك أن تطالب بها، متى أصبحت ربة دار ورأس أسرة برمتها.

ومما يقضى بالأسف أن يكون في بعض الأسر فتيات لا تعنين بهذا الواجب، إذا منع أمهاتهن طارئ عن أدائه، كمرض أو سفر. فيكون توانيهن مدعاة لفساد الأسرة واختلال الترتيب المنزلي.

تلك الفتيات وأشباههن، يسوقهن إلى هذا التفريط إفراطهن في حسن الظن بقدرتهن، ومبالغتهن في الاعتداد بأنفسهن. وهو ما يؤدى حتما الى خراب الأسر وانحلال عراها.

وكثيراً ما يعرض للأم من الكدر ما تؤثر معه كتمان بواعثه حتى على أبنائها. فواجب الابنة البارة بوالدتها. إذا نظرتها وقد توزعتها الهموم وانتابتها الاكدار، أن تعمل جهدها لازالة ما آلم قلبها وقبض رجاءها، مع التجافي عن استطلاع سبب ذلك الكدر. فأن الأم إذا أنست من ابنتها الاكتراث بأمرها، لا يلبث أن يفتر ثغرها وينشرح صدرها، فيعود الهناء الى مجراه في أسرتها.

الفتاة اذا اختل نظام الاسرة

يختل النظام المنزليّ أحياناً لتقصير الأم فى إدارة شؤونه أو قصورها عنها ، أو لاسرافها فى النفقة ، أو لغير هذا من الأسباب . فالواجب على الابنة فى هذه الحالة تلافى الخلل الطارىء ، بأن تتولى تلك الشؤون بنفسها ، على وجه لا تنصرف ظنون الأم معه إلى أنها عاملة لاسقاطها من عرش السيادة المنزلية ، لتحل فيه محلها .

وقد يحدث ، إذا رأى والدها الاقبال منها على النيابة عن والدتها فى أداء فروض البيت ، أن ينشطها بعبارات الحثّ والتشجيع ويقرظها بألفاظ الثناء . فخليق بها ألا تتخذ هذا العطف ذريعة للتسامى على والدتها . إذ لا يبعد أن يوغر هذا الالتفات صدرها عليها ، بالرغم مما يربطهما من روابط لا فكاك لها .

وإذا كانت الأم من الاصرار على العناد والمشاكسة بما يحول دون تحليل الأحقاد فى صدرها واستلالها من

نفسها فثار غيظها ، فأول ما ينبغي للابنة كي تتقي عواقب هـذه الحالة ، أن تلقيَ هذا الامتعاض والحرَد على كاهل متاعب المعيشة وآلام الحياة التي كثيراً ما تبدل من طباع المرء فتخرجه من حيزه ، ولا تعتبرهما نقيصة يستحق صاحبها اللوم والاحتقار .

وخليق بها أن تذكر أن الأمّ محور البيت الذي يدور عليه فلك سعادة الأسرة ونعيم أبنائها . فإذا عيل صبرها في موقف ما من مواقف الحياة ، وحل الجزع من نفسها محل الأناة والحلم ، فأخلق بهم أن يرسلوا نظرة إلى ما أسلفت من فضل ومعروف . فإنهم لا يلبثون أن يعترفوا بما لها عليهم من الآلاء والنعم التي تدعوهم إلى غضّ الطرف عن هفواتها .

وما من فتاة عرفت لأمها هذا الحق فعاملتها بالأدب والحسنى ، إلاّ وقد كسبت رضاها ومحبة الناس لها وتعطرت الأفواه بذكرها في كل مجلس وناد .

الفتاة ازاء عداوة الأم لها

يحدث أن تجفو الأم ابنتها وتنأى عنها بجانبها ، فتسلم نفسها لليأس والحزن ، باعتقاد أنها من بين أترابها العاثرة الجد المنكودة الحظ . فيجمل بمن كانت هذه نزعتها ألا تجرد من حلية زانتها بها الفطرة ، ألا وهي السرور الفياض الذى خلق مع الانسان ويعبر عنه ابتسام الثغر وضحك السن ، وأن تعلم أنها فى دار والديها سلوة المحزون ونفثة المصدور وفرجة المكروب .

فلتلاق هذه الفتاة أمها مفترة الثغر منشرحة الصدر . فاذا لم يمحُ هذا المظهر ما انتقش فى قلبها من جفاء ، فلتفزع إلى والدها أو من يهمه أمرها من ذوى قرابتها . فانها واجدة عندهما ، أحدهما أو كلاهما ، ما تصبو اليه من عطف ينسيها ذلك الجفاء ويحيي فى نفسها ميت الرجاء

على أن الأم إذا تولبات من ابنتها مرة تلو أخرى بمظاهر الهشاشة والاقبال ، لا تستطيع التمادى فى خطتها

بل لا تلبث أن ترجع باللائمة على نفسها ، فيما ظهرت به من جفوة وهجر . فتولى فلذة كبدها ما هي أولى به من نصيبها الطبعيّ فى الحنان الوالديّ . ولا يبعد أن تذكر أنها طالما عاملتها بالحيف والاجحاف فلم تبث شكواها إلى أحد ، وأن هذه الفضيلة العالية الثمينة خليق صاحبها بالعطف والايثار .

الفتاة اذا ثار الخلاف بين والديها

إذا دبّ الخلاف بين الوالدين فالخطة المثلى التى يجب على الابنة اتباعها ، أن تقصد إلى الوالد أولا فتتلطف فى كشف غمته وتفريج كربته ، متقية اغتياب والدتها له بل ومتجاهلة أسباب الخلاف القائم بينهما .

ولقد تكون الأم مصدر البلاء الذى نزل ، إما لاهمالها أو لبسطها اليد بالنفقة الكثيرة حيث ينبغي القصد أو لغير هذا وذاك من الأسباب . ففى هذه الحالة يجب عليها أن تتولى شؤون المنزل من وراء ستار وتتعهده

بعنايتها إلى أن تستقيم أحواله ، جاعلة نصب عينيها أداء مفروض الاحترام والحب لوالدتها .

أما إذا كان سبب الشقاق شكوى الأب شكاسة أخلاق الأم أو نفورها منه أو غضبا استثاره هياج الأعصاب أو تطاولا في الغطرسة والتيه ، فخليق بالفتاة تعهد والدها بما يحتاجه من العناية البيتية التي ألفها من والدتها . فإذا سارت على هذا النهج ، تبددت من أفقه سحب الأحزان المتلبدة واغتبطت نفسه اغتباطاً ربما أدى إلى تقويم ما أعوج من خلق وإيصال ما انبتر من علاقة وتسكين ما هاج من غضب .

ولا أجل في الأسرة ولا أجمل من عمل الابنة ترمى به إلى التوفيق بين والديها . فإنها إذا قامت به على خير ما يراد استحقت منهما المحبة والإكرام ، وأحرزت من ثقتهما ما يحبب اليهما الرجوع إلى رأيها في كل ما يعرض من الشؤون البيتية وغيرها .

*

الفتاة ازاء اخوتها

ينبغى للفتاة أن تحرص على محبة إخوتها لها وثقتهم بها . وهو ما لايكون إلا إذا تمسكت فى معاملتهم بأهداب الحق والصدق ، ولم تطمح إلى السمو عليهم بما لها من الصولة ونفوذ الكلمة . فأذا لم تسلك معهم هذا الطريق الأقوم ، تحولت ثقتهم بها إلى حذر ومحبتهم إلى عداوة وتمالأوا على خذلها وإسقاطها من علوة مكانتها .

فلتصرف جهودها على الدوام إلى إرشادهم وتوقيتهم مزالق الأخطار والشرور . وبذا يولونها من الطاعة والاحترام نفس ما هم مطالبون به منهما نحو الوالدين .

وقد تدفعهم الثقة بها إلى مكاشفتها بما اعتزموا تنفيذه من مشروع لم يتبينوا فائدته ولم يحسبوا لعواقبه الحساب ، لقصر نظرهم وحدة طبعهم وخفة أحلامهم ، ولم يتريثوا لتمحيصه واختيار الفرصة الملائمة لأبرازه .

فجدير بها فى مثل هذه الحالة ، تحذيرهم عاقبة تهورهم

وإخطارهم بخطر طيشهم ، فأما أن يعدلوا عن نيتهم فلا تطلع والديهم على ما كان من أمرهم وإما أن يصرّوا عليه فتبادر إلى إطلاعهما عليه ، دفعاً لعاقبة سيئة أو خطر قد يكون محققا .

أما إذا مالأتهم على المضي فى مشاريعهم ، ولم تبخل بمعاونتها إياهم على إنجازها فأنها تعدّ مشاركة لهم فى فعلهم ومسئولة طبعاً عن الضرر الواقع منه .

الفتاة والكنة

اعتادت الفتاة أن تستقبل كنتها أى زوجة اخيها بالفتور والأعراض ، كأنما قد روّعها ماتوافر فيها من مزايا الأدب والجمال وسعة الاطلاع ونضرة الشباب ، أو أزعجتها الرابطة التى جعلتها عضوا فى أسرتها ، فتراها تقصر همها على الوشاية بها عند اخيها مصغرة من شأنها ، ومسندة اليها نقائص الخلق والخلق معا .

وقد يكون المسكين ممن يعيرون الأذن للوشايات

والنمائم ، ويمملون بأرادة النساء لضعف إرادته ، فلا تلبث فرجة الخلف بينه وبين زوجته أن تتسع على ماتهواه أخته وتنقبض أجنحة الهناء والسرور التى كانت منتشرة عليهما .

ولو كان فى قلب تلك الأخت ذرة من الحب لأخيها لتدخلت بينه وبين زوجه كلما سنحت الفرصة ، لأبرام ماانتقض من العرى ، وسلمت بما لكنتها من حق صريح فى المكان الأول من فؤاد أخيها ، حيث لا ينبغى أن يزاحمها أحد . على أنه خليق بها ، إذا اطلعت من كنتها على عيب خفي أو ظاهر نفسي او جسمي، الاغضاء عليه ريثما تتمكن بنصائحها الصادقة وإرشاداتها النافعة من إزالته ، ليحل محله ماهو خير منه من مكارم الخلق ومحاسن الخلق .

الفتاة والخادم

فرض على الفتاة أن تعامل الخادم بالعطف واللين وتعتبرها عضوا من الأسرة، فلا تحملها ما لا قبل لها به من الأعمال ، كيلا تستفزها إلى مخالفة أمرها . فقد قيل :

إذا شئت أن تطاع فمر بما يستطاع .

وإذا قصرت الخادم فى القيام بالمفروض عليها فلتنبهها الى تقصيرها بالرفق ، أى بصوت لايسبقه الغضب الى مخارجه ولا ينافى الأدب مبنى ومعنى . فإذا اعترفت بما فرط منها واستدركت ما فاتها ، فلا حاجة الى تصديعها والديها بنقل خبر ذلك التقصير اليهما . فقد يتأدى بهما العلم به الى المبالغة فى تعنيفها ، فتسوء أخلاقها ويعوج سلوكها فتعمد الى المخالفة والمشاكسة مع من هي السبب فى إيصال ذلك الضرر اليها . والفتاة العاقلة العارفة بشرف مركزها فى الأسرة ، تتقى برصانتها وتسامحها مثل ذلك الشر المستطير.

ومما لا يليق بكرامة الفتاة فى الأسرة اتخاذها الخادم صديقة لها ، تفضى بأسرارها اليها وتكاشفها بما يتردد من الأماني والآمال في صدرها . لأنه إذا صح أن تتوافر الثقة بين سيدة وخادمها ، فلا يكون ذلك إلا بين سيدة قوس الهرم ظهرها وخادم قاسمتها السراء والضراء فى معظم أدوار حياتها . والأولى على كل حال صون الأسرار لاتقاء ماينجم عن إفشائها من الأضرار .

عمل الفتاة في بيت والديها

إن ربة البيت ، مهما تكن ذات ثروة وجاه ، لاتجد ما تنشده من اللذة فى المعيشة البيتية إذا قضت نهـارها متكئة على وسادتها سائرة بين ذويهـا بالغشمرة والصلف والتجبر ، وقصرت همها على التأنق فى الملبس والمأكل والمشرب . لأن طلب اللذة والهناءة لا يكون إلا من وراء صرف الوقت فى تفقد أحوال البيت بالاشراف على خدمه ؛ حتى لاتفوتها كبيرة ولا صغيرة من أعمالهم . فالرقابة على شؤون البيت أشرف عمل تباشره المرأة فى حياتهـا وأجمل حلية تزدان بها .

وخليق بابنة ربة البيت التى تلك صفاتها الفاضلة ، أن تسير على دربهـا وتجعلها خير قدوة لهـا في تصرفاتهـا . فتخصص شـطرا من يومها للتطريز والزركشة مثلا ، والشطر الآخر للتنظيف والترتيب ومباشرة شـؤون المطبخ .

نعم قد تكون فى غنية عن الارتداء بما تخيطه من الثياب ، ولكن ألا تشعر بنعيم البال واغتباط النفس ، إذا هى كست به عاريا لا يملك ما يقيه حر الصيف وقرّ الشتاء ؟

ولا يكفى البنت ، عند تخرجها من المدرسة ، أن تتزوّد بشهادة ناطقة بكفاءتها . بل لا مندوحة لها عن تطبيق ما لقنته من القواعد النظرية بالمدرسة على العمل فى بيت والديها . فتأخذ فى ترتيبه بحسب أصول الاقتصاد المنزلى وتباشر من أعماله ما يتجافى بها عن مضاجع الكسل والبطالة . وهى ، إذا سلكت هذا المسلك ، تكفي أهلها مؤونة الانفاق حيث يستشعرون بالحاجة إلى الاقتصاد . وربما أدخرت من الحلي والمتاع المتين الجميل ما يكون فى المستقبل زينة بيتها ، وركن حياتها الزوجية .

وأكثر الفتيات عملاً فى بيوت والديهن أصلحهن زوجة فى المستقبل . فمن الواجب عليهن أن يجعلن هذه الغاية مقصدهن ومطمح أبصارهن .

نزعات مكروهة

يجمل بالبنت أن تقنع بما عندها من المتاع مراعية فى ذلك ثروة والديها وطاقتهما . فليس لها أن تقطب وجهها أو تسلم نفسها إلى الحزن واليأس ، إذا قصرت الحيلة بهما عن اقتناء ما تود من ثياب فاخرة وحليّ ثمينة ، لتجارى فى الزخرف والبهرج فتاة من الجيرة لوالديها من سعة الرزق وبسطة العيش ما يستطيعون معه قضاء وطرها .

فاذا ألحت عليهما فى ذلك فكأنما تقول : اقتصدا من أكلكما وشربكما ولبسكما وذوقا صنوف الحرمان من أجلى حتى يجتمع عندكما من المال ما يفي بشراء الثياب والحليّ التى اتطلع إلى احراز الفخر باقتنائها على ابنة جيراننا المثرين.

ويقيننا أنه لا توجد على وجه الارض فتاة تجسر على تحميل والديها ما لا قبل لهما به ، إلاّ إذا سلبت الشعور الانسانى وكانت الى طباع الحيوان أقرب منها الى خصال الانسان .

وحريّ بمن طابت نشأتها التحامي عن مكاشفة الناس بعيوبهم . فلا تصف غيرها بطول الأنف أو قصر الشعر أو ضيق العينين مثلا ، إذ الواجب عليها غض النظر عن عيوب الناس متحرية ذكر ما تعرفه فيهم من المحاسن والفضائل .

ويجمل بها اذا برزت فى الطريق ، أن تدع التبرج جانباً ، كيلا تسترعي به انظار المتهوسين من الشبان أو تغرر بهم . ولا داعي إلى ظهورها في هذا المظهر ، وهي فى البيت قلما تهوى التبرج بل كثيرا ما تحرى من الثياب ما تنبو الانظار عنه ، كأنما الثياب الفاخرة جعلت للطريق وحده دون البيت .

ويجب عليها ، اذا كانت بصيرة بواجباتها ، أن توجه عنايتها الى تنظيف البيت وترتيبه وتنميقه بما يروق في العين منظره ، من أصص الأزهار والتحف الجميلة النافعة من عمل يدها . وأخص ما ينبغي لها اجتنابه في هذه الحالة ، المنّ على والدتها بما تقوم به من عمل لا تعود ثمرته على أحد غيرها . دع أنه فرض محتوم الأداء عليها .

واجب الفتاة نحو المرضى

إذا مرض أحد أفراد الأسرة فقد انضاف الى أعباء واجبات الفتاة عبء جديد ، لما يستدعيه حال المريض فى مرضه ، من الخدمة المتواصلة والتعهد الدقيق والملاحظة الطويلة .

ولا سبيل الى الاضطلاع بتلك الأعباء كلها غير الاعتماد على عزيمة الصبر . فأن الجزع من أداء الواجب والنفور منه ، ليسا من الشيم الكريمة التى تستفز صاحبها عادة إلى تخفيف وقع الآلام عن المرضى والعانين ، ومواساتهم بما يسرى الهمّ عن صدورهم .

وإذا كان المريض ربة البيت ، فأول ما ينبغى أن يختلج به خاطر الفتاة ، أن تتذكر ما كانت هذه الأم الحنون تحوطها به من العناية فى صغرها ، وتقضيه من الليالى الطويلة فى تمهد أحوالها . فأن هذه الذكرى تمدها من القوة والهمة بما يمكنها من أن تؤدى إلى والدتها المريضة

بعض ما عليها لها من ديون العناية والتعهد .

أما إذا كان المريض رب البيت أى الوالد أو أحد الأخوة أو إحدى الأخوات ، فأقل ما يجب عليها نحوهم مؤاساتها إياهم بألفاظ الرجاء العذبة في قرب الشفاء .

---

*

المرأة زوجا

اختيار الزوج

لا ينبنى اختيار الزوج على ما ترجو الفتاة أن تتمتع به من عرض الحياة الدنيا أو تتوق اليه من تغيير الحال . فأن الفتاة الصالحة الملمة بفروض الحياة ، هى التى تلتمس فى الزوج الذى توشك أن تلقى اليه مقاليد أمورها ، أن يكون عونا لها على القيام بالمهمة التى خلقت من أجلها .

ويحسن فى اختيار الفتاة للزوج ، ألا تجعل رائدها حسن البزّة وجمال المظهر . إذ العبرة فى الرجل برجاحة العقل وسموّ الأدب ، لا بسناء الطلعة وجمال الهيئة . لأن المحاسن الحسية لاتلبث أن تمحوها الأيام ، وقلما توافرت السعادة فى أسرة إلا بالرجل العاقل الفاضل .

ومما يحسن بالفتاة أن تحراه فى خاطبها، أن يكون من ذوى العمل المجدّين المجيدين فيه . لأن العاطل وإن اتسعت ثروته، عرضة للغواية والتردّى فى مصارع الشهوات بمخالطته قرناء السوء، وقضائه الوقت معهم فى الملاهى المهلكة التى كثيراً مايجد أمثاله حتفهم فيها .

ومن الفتيات من يذهبن في الزواج الى إيثار الزوج المشهور بفرط الذكاء ومنتهى البراعة فى الرقة والكياسة، التماسَ السموّ به على صويحباتهن . وهو مذهب سوف تكفل لهن الأيام إظهار فساده . لأن تلك المزايا، على أهميتها وجلالها، لن تكون من أسباب السعادة والهناء، إلا إذا اقترنت بالفضائل النفسية التى يجب الاعتماد عليها دون سواها فى اختيار الأزواج .

*

بعض شروط الزواج

من أهم شروط الزواج الوقوف على عمر الزوجين . وقد اختلف الناس فى تقديره بالنسبة اليهما ، ولكن المتفق على استحسانه أن يتراوح فرق السن بينهما من خمسة أعوام الى عشرة . على أن هذا القيد لايحول دون ليقان صاحب الثلاثين من العمر للتزوج بمن ناهزت الثامنة عشرة ، وصاحب الأربعين بمن شارفت العشرين من عمرها .

وإذا جاز هذا الفرق ، احتفاظا بنضرة الرجل وعنفوانه حتى فيما بعد الأربعين ، فهو بالنسبة إلى المرأة غير جائز إلا في بعض الحالات ، كأن يكون الزواج ثمرة انعطاف قلبي أو مطمع مالي أو مصلحة ذاتية ما .

وقد جرت العادة بأن تقدم الزوجة أثاث البيت ، ولكن أهلها اعتادوا مجاوزة الصواب فى إعداد معداته . إذ كثيراً ما يبيعون أملاكهم أو يرهنونها كلها أو بعضها فى هذا السبيل ليجرى على الألسنة ، بالحمد والأعجاب ،

ذكر تلك الآثاث التي مآلها حتما إلى العطب، عند أول نقلة من منزل إلى منزل.

فجدير إذاً بذوى الحجى والنظر القصيّ فى المستقبل من الأهل، الاقتصار فى تأثيث منازل بناتهم على ما يجمع من الأمتعة إلى حسن المنظر، المتوع والبساطة. وكل ما فضل من المال الذى تبرعوا به لهن من بادىء الأمر، يودع أحد المصارف أو يشترى به عقار تستثمر نه لمصلحتهن ومصلحة أبنائهن فى مستقبل الأيام.

ولو جرى الآباء والأمهات على هـذا السنن، لكفوا أنفسهم مؤونة الاستدانة أو إيداع مستندات ما يملكونه لدى تجار الأقمشة والمصوغات والآثاث، رهنا على ما يبغون تجهيز بناتهم به، كما هو حاصل الآن.

وخليق بمتوسطى الحال من طالبي الزواج، والذين يكدّون ويكدحون فى سبيل الرزق، التماس الزوجة التي يقيها علمها وحذقها فى الأشغال اليدوية شرّ الفاقة والعوز، إذا اضطرت الطوارىء زوجها إلى البطالة، أو أجاب داعي ربه بانصرام حبل الأجل.

الآثاث البيتيه

يوكل إلى الفتاة فى الغالب اختيار الأمتعة لمنزلها، وإن يكن والداها هما اللذان يدفعان ثمنها من مالهما . ذلك لأنها تشرى برسمها لا برسم غيرها ، فمن حقها أن تختارها مطابقة لذوقها . وهو ما لا يتيسر إلا إذا باشرت اختيارها بنفسها .

والجاهلات من الفتيات هن اللائى يغرين أهلهن بشراء ما ترمين به إلى مجرد الفخر والمباهاة . أما المتعلمات العاقلات الطامحات إلى الاستمتاع بلذة المعيشة البيتية النقية من شائبة التكلف ، فيربأن بأهليهن عن إنفاق المال جزافا فيما لا يفيد من المتاع فائدة عاجلة مثمرة ، كذلك الخزفي المموه بالزخرف الساتر لرداءته ، أو تلك الفرش المزركشة والأوانى الفضية أو الذهبية التى يقصد بها مجرد الزينة لا الانتفاع فى شؤون الحياة .

وما أحمق المرأة التى تنفق مالها المدخر فى تهيئة ثوب

واحد جامع لضروب الزخارف المنافية للذوق ، بل ما أقصر نظرها عن دركـ مصلحتها الصحيحة ! ولو أنها أنفقت ذلك المال فى إعداد ما هو أقل زخرفا من ذلك الثوب ، لاقتنت به جملة ثياب تفوق هذا متوعاً ومطابقة فى هيئتها للذوق السليم .

فمن واجب الزوجة العاقلة المدبرة إيثار الأمتعة والثياب الصالحة للانتفاع بها ، على ما يذهب المال ضياعا فى سبيله من الزخرف الذى إذا سرّ منظره حينا ، لن يستفاد به أبداً .

الأيام الأولى من الزواج

الزواج دور من الحياة تشعر المرأة عند الانتقال اليه ، بابتهاج تعتقد أنها خلقت للشعور به وحدها طول المدى . فتراها تصوره لخاطرها تصويراً كثيرا مايصرفها عن أداء واجباتها . فأذا طولبت بهذه الواجبات ، حسبت المطالبة مباغتة رديئة تسلب النفس أحب الأشياء اليها .

فمن واجب الوالدين ، إذا أنسا منها ذلك الانصراف في الأيام الأولى من زواجها ، الترفق بها في تنبيهها على أن الاغتباط بالزواج كالشراب العذب ، لا تدوم لذته إلا بتذوقه جرعة جرعة وبمصه مصاً لا بعبه عباً .

وخليق بهما اغتنام فرصة هذه الملاحظة ، ليرسما لها خطة العمل في البيت الجديد ، على وجه يمكنها من حسن القيام به وأن يبادروا ببذل هذا السعي لديها في الأيام الأولى من الزواج . حتى لا يتأصل ذلك الاعتقاد في نفسها تأصلا يتعذر معه فيما بعد اقتلاعه ، فلا يلبث أن يتحول إلى عصيان عن القيام بفروضها المنزلية ، بحجة أنها لم تكن مقررة عليها ولم يطالبها أحد بها من بادئ الأمر .

التحاب بين الزوجين

من أهم أسباب السعادة وأفضل وجوه الخير أن تتوثق عرى التحاب والتآلف بين الزوجين ، منذ ساعة الاقتران . فإذا لم يتبادلا الحب الزوجي أو كان أحدهما

محبا والآخر مبغضا ، فبشرهما بحياة سداها العناء ولحمتها الشقاء .

وفى استطاعة الزوجة ، إذا كان الزوج مبغضا لهـا وهى تحبه ، تحويل الـكراهية فى نفسه إلى محبة صادقة بما تبديه له من الاخلاص والثقة به ، وتظهره من المزايا التى زانت الفطرة بها المرأة دون الرجل .

أما إذا غالت فى لومه وتأنيبه على جفائه وصدّه ، أو بثت الشكوى مما تعانيه من فعله ، أو عيرته بنقص فيه أو فى أحد أفراد أسرته ، فقد خاب رجاؤها فى الفوز باستمالته اليها وجذبه إلى حظيرتها .

وخير ما تتذرع به من الوسائط لـكبح جماحه ، مغالبته بما اختصت به من غوالى الشيم ومكارم الأخلاق . وخليق بها فى هذا الجهاد أن تضع الفوز نصب عينيها . فأنها لا بد ظافرة بما تتوق اليه من توثيق عرى المودة ونشر أعلام الصفاء .

فأذا عادت من هذا الميدان بالفشل والخيبة ، فأنمـا شأنهـا فى ذلك شأن الجندى الخائر العزيمة الذى لولا

قنوطه من الظفر وضجره من طول المرابطة ، لكان إلى الاستيلاء على ذلك الحصن المنيع ، حصن القلب المرتج الأبواب ، أقرب منه إلى التفكر فى الفرار ، ولذلل بهمته المصاعب التى حالت دون فتح مغاليقه .

استمالة الزوجة زوجها

قالت سيدة حنكتها التجارب : « يجب على العارفات منا بمطالب الرجال وميولهم أن يطلعن النساء على ما يحب الزوج توافره فى زوجته من المزايا والمحاسن » . وقالت : « لا يعطف قلب الرجل على المرأة سوى استمالتها إياه إلى ملازمة البيت بما تستطيع أن تستجمعه فيه من الوسائل التى تجذبه إلى ملازمته »

ومن أهم هذه الوسائل وأفضلها ألا تتكلف التشبه بالرجال ، بل تحافظ على مظهرها النسويّ لتبقى متصفة بخصائص المرأة ومميزاتها ، أى كائنا ميزته الفطرة بلطف الاحساس وسموّ الأدب وسلامة الذوق . فأن الزوج يحب

ذلك من زوجته . وهو يطلب منها فوق ما تقدم أن تكون
فى دارها كالشمس فى سمائها ، لا يحجبها من العبوسة
والتجهم سحاب قاتم ، لا سيما إذا دخل عليها عابس الوجه
بباعث لا علاقة لها به . وأن تكون ملمة بآداب المحادثة ،
تسكت حين يجب السكوت ولا تقاطعه إذا تواصل
حديثه ، ولا ترفع صوتها إذا حدثت ، جاعلة الصدق رائدها
في كل حال . فأن الصدق منج لها من ورطات الشك فى
محبتها وإخلاصها .

ولتعلم أن الزوج لا يتطلب منها الفوق فى الذكاء
على نظيراتها . فأذا أنست من نفسها إلماما بأطراف العلوم
وتفوقا على غيرها بالذكاء المفرط وسعة العلم ، فلتتكتم أصف
ذكائها وعلمها ، مستعيضة عنه بمظاهر الاخلاص والوفاء
والعطف ، لتكسب ميله اليها وعطفه عليها واحترامه إياها .

ولتعلم أيضاً أن الزوج لا يطيق من زوجته أن تعامله
بالفتور والتراخى وقلة الاكتراث ، ولو بنى معاملته إياها
على هذا الأساس كله أو بعضه . وفى أحوال الحياة
وحوادثها ، ما يلجئه أحيانا إلى البروز لها فى مظهر لا يحب

أن تبرز له فيه . وحسبها لتمزيق هذا المظهر أن تمد اليه يد المصافحة أو تواسيه بكلمة سلوان تقع من قلبه موقع المرهم من الجرح .

ومما ترمى اليه أمانيّ الزوج ، أن تكون زوجته مدبرة مقتصدة . فأذا وافاها بشيء من المال للأنفاق منه على شؤون البيت ، فما يسرّه السرور كله أن يراها تحكم الروية والقصد فى إنفاقه ، بحيث لا ينقص بيته شيء من حاجيات المعيشة ووسائل هنائها ، كما يسره أن يراها من الذكاء والاطلاع بحيث تفهم ما يحدثها به ولا تثير ثائرة المراء . وهو بهذه المزايا يستطيع تزجية أوقات الفراغ فى محادثتها بلذة واغتباط ، ولا يضطر الى ترك بيته فيها ، التماس الراحة فى القهاوى والملاهى التى هي مزالق الشر ومساقط الفساد .

وصفوة القول أن المرأة إنما خلقت لتتمم ما فى الرجال من نقص ، وتسدّ ما بهم من ثلمة . فأذا لم توفق لأداء هذه المهمة ، كانت المسئولة وحدها عن شقاء الأسرة وأول من تقع عليها تبعته .

حكمة ديوجينس الفيلسوف

كان ديوجينس الحكيم اليوناني من أسعد أهل زمانه وأهنأهم بالا . لأنه اكتفى من حطام الدنيا بثوبه الذي على بدنه وصندوق يبيت فيه وقعب يغترف به الماء . وقد سأله الاسكندر يوما : « ألك عندي حاجة فأقضيها ؟ » فأجاب : « نعم أريد أن تزايل مكانك حتى لا تحجب الشمس عني » . وشاهد ذات يوم طفلا يغترف بيديه الماء فرمى بالقعب قائلا : « لقد علمني هذا الطفل الاستغناء عما لا يفيد »

يجدر بالمرأة أن تتخذ من حكمة ديوجينس ما تقوى به على القيام بأعباء الحياة وتصلح به نقائص الزوج وعيوبه. فاذا رأت فتقاً في ثوبه سارعت الى رتقه ، أو عوجا في خلقه وطبعه تذرعت بلطفها الفطريّ الى تقويمه . والأيام الأولى من الزواج خير ما يبذل فيه مثل هذا السعي . . لأن نجاحه فيها أضمن منه في غيرها لما يكون للزوجة ، في أول عهد الزواج ، من الدالة على زوجها ونفوذ الكلمة عنده.

وتتطلب حكمة ذلك الفيلسوف من المرأة أن تمحو من نفسها أمارات الحزن ، بأن تكون على الدوام باسمة الثغر متهللة الوجه . فاذا نكب زوجها فى ماله أو بدنه كانت له الجناح الذى يطير به الى الأمل في انفراج الأزمة وانكشاف الغمة ، والملاك الذى يواسيه أو يسليه أو يتوجع والمعين الذى ينقذه من ورطته ويقيله من عثرته .

أما البكاء والعكوف على بث الشكوى للشارد والوارد ، فلا يفيدان فتيلا فى تلافى النازلة على الوجه الكفيل بعودة الأحوال الى مجراها الأول .

وخليق بها أيضا مداراة الزوج ومجاملته والطاعة له والتلطف فى ردّه عما تعتقد مخالفته للصواب . فاذا أيقنت أن الحق الى جانبها فى قول أو فعل ، فلا تجبهنه بمثل قولها : « أرأيت كيف أنني على صواب وأنك على خطأ ؟ » . وحسبها اعتراف زوجها بصوابها واغتباطها بذلك .

وكثيراً ما يضجرها ويحزنها أن تبدر من الزوج بادرة لفظ لا يروقها ، فتلجأ فى إظهار استيائها منه الى البكاء والنحيب كما يفعل الصبية ، إذا حيل بينهم وبين مشتهياتهم .

، الأليق بها مقابلة ذلك اللفظ بالصمت ، على اعتبار أنه بدر
منه عفواً ومن غير قصد . فإذا لم تر بدّاً من الملاحظة ،
فليكن ذلك بالرفق والاعتدال . فربما وقفت بحسن التفاهم
مع زوجها على سر ما ساءها سماعه من ذلك اللفظ ، فلا يلبث
الشك الذى حوّم حولها أن تتبدد سحبه ليحلّ الصفاء
والهناء محله .

والمرأة التى تتمسك بأهداب هـذه الحكمة وتعمل
بمغزاها تظل ، ولو شابت وزال كل أثر من الجمال فيها ،
موضع المحبة والاحترام من قرينها . فيقضى الاثنان حياتهما
محفوفين بصنوف السعادة البيتية واحترام الناس لهما .

التعنت والمخالفة

من أبغض الاشياء إلى الرجل تعنت المرأة ، أى طلبها
الزلات فيه وإدخالها الأذى عليه وتشبثها بالرأى ، ولو كان
خطأ . والمرأة التى هذا وصفها تستفزّ غضب الرجل وتضرم
فى صدره نار الحقد عليها ، على وجه كثيرا ما يفضى الى

التفرقه بينهما .

ويدخل في تعنت المرأة الألحاف في طلب الشيء واتخاذ الشدة وسيلة للحصول عليه . وكثيراً ما يتفق أن يكون سبب تمنع الزوج عن تحقيق رغائب زوجته عذراً لا صارف له أو قوة لا طاقة له بها . فأذا تمادت في الالحاف ، فأنها تحط من قدر نفسها في نظره ، بقدر ما أحرجت من مركزه أمامها .

ولقد يحدث بعد هذا الألحاف أن تلزم الصمت أياماً، وأن يرهقها الامتعاض ، فلا تجاوب إذا سئلت ولا تعتذر إذا عوتبت . وربما هبت عاصفتها فاعتبرت عتبه الرقيق سبة فاحشة وافتئاتا على حق من حقوقها .

ومن ضروب التعنت ، تصلبها بآرائها وتمسيكها بأقوالها ولو بنيت على فساد ، وإنكارها الحق ولو سطع نوره ، وتناولها أقواله بالنقض والتجريح . ولو كان بها مسكة من العقل ، لآثرت الصمت على الهذي بما لا نتيجة له إلا توسيع هوّة الخلاف بينهما

غطرسة الزوجة وتهورها

بعض الزوجات لا يملكن أنفسهن من المغي مع الغضب والتأثر بما يسمعنه أو يرينه ، فلا يلبث سطحيو النظر فى عادات النســاء وطبائعهن أن يحكموا بتهيج أعصابهن وبأن هذا التهيج مرض ينبغى ألاّ يؤاخذن عليه . والواقع أنــ بهن مرضا ، هو مرض الكبرياء والغطرسة وطلب السموّ على الزوج .

وأعجب ما فى الأمر اعتقاد المرأة التى هـذا شأنهـا أنها مصابة فعلا بداء الأعصاب . فأنها لا تلبث أن تقع فى حالة نفسية تجعلها كاسفة البال عابسة الوجه ، تعمد إلى ملازمة الفراش كلما حست صداعا خفيفا وتطالب قرينها بالاسعافات الطبية واستدعاء أقاربها والجلوس إلى جانبها ، ليكون رهن إشارتها .

ولو اطرحت الوهم جانباً وأيقنت أن ليس فى إحساسها بعض الألم ما يستدعى بقاءه رهن إشارتها لانصرفت عنها

الأعراض التي تخيلتها ثم خالتها مرضا عضالا .

ويتفق للزوجة التي نصفها لهذه المناسبة بوصف « متهيجة الأعصاب » تكرار الشكوى من عناء تدبير المنزل . وهي نزعة ليس في النزعات ما هو أقبح منها ، إذا قيس هذا العناء بما يقاسيه الرجل من المشاق في تحصيل القوت ، ويعرض له من مصاعب وعثرات في طريق الحياة تجعله أحق منها بالتسلية والمواساة .

فجدير بالزوجة إذا مرضت ، أن تستعين على مرضها بالصبر والاحتمال وتمسك عن بث الشكوى منه في كل ساعة إلى زوج أو قريب . ولتتمسك بأهداب الصبر أيضاً إذا ألفت زوجها منصرفا إلى الملاهي والمنكرات . ولتكظم غيظها منه ولتتريث حتى إذا أفاق من سكرته وثاب إلى سكينته ، اختارت لتزجية خالص النصح اليه أرق العبارات المقرونة بالاستعطاف ، فأنه لا يلبث أن ينقاد اليها ويفيء إلى الحق ويثوب إلى الرشد .

أما إذا واجهته بالتنديد والتبكيت وجبهته الخصام والتعنت ، فأنه لا بدّ مستمرىء مرعى غوايته سادر في

فلواء سيرته . وهو ما يفضى الى إيقاد نار الحزازة فى القلوب والتراشق بيذىء اللفظ وجارح القول .

فمسايرة الزوجة للزوج وإخلاصها له ، من أكبر وسائل السعادة والهناء فى الأسرة . فأن تكن تريد أن تعيش سعيدة بزوجها وأن يعيش زوجها سعيداً بها ، فلتعمل بهذه النصائح ولتستنهج سبيلها .

بعض المحامد المطلوبة فى الزوجة

المهذبة من الزوجات هى التى تتفق تصرفاتها مع العقل وتحوز استحسان الزوج . فأذا جملت رائدها فى العمل النشاط والهمة وفى قولها البيان وذلاقة اللسان ، أيقن الزوج أن السعادة متوافرة الأسباب فى بيته . وهى التى إذا راحت أو غدت فى حجرتها خلتها طيفاً لا تسمع لمروره همساً ، أو إذا سارت بين الناس فكأنما النسيم الطيب الأرج يسرى بينهم فينعش الأفئدة ويحيي النفوس ، او إذا أقبلت على الأمتعة تنسقها وتنظمها أحسست أصابعها لرشاقة

حركتها وخفة لمسها كالفرفور إذا راوح بين الأفنان وأحط على الأزاهير ، أو إذا أمرت أمراً فبعبارة عذبة وصوت بلوريّ الرنين لا بألفاظ جارحة وصوت خشن يجعلها بقيادة الجند فى معمعان القتال أحق منها بتدبير شؤون البيت .

وبالجملة فهي التي تنهض بأعمال البيت ثم تبدو كأنها لم تزاول عملا قط ، ولا تتكلف بعد ذلك تقطيب الجبين تطلب من ورائه إعلام الناظرين اليها بما تكابده من مواصلة العمل ليل نهار ، وأنه لولاها لما قامت للمنزل قائمة أو استقر فيه نظام و ترتيب . بل هي التى تراها باسمة الثغر ظاهرة البشر لاتفخر بعملها إذا عملت ولا تشكو أوصابها إذا تعبت .

ومهما يكن انصراف الزوجة الى شؤونها البيتية ، فليس مما يتفق مع هيبتها مباشرة الأعمال الدنيئة . لأن هذه المباشرة تحمل الخدم على الاستخفاف بها والزوج على الامتعاض منها ، إذا وقع نظره عليها فى ثياب قذرة وأطمار بالية .

وإخلاص الزوجة لزوجها يدعوها الى ذكره بما يروق

له سماعه . فاذا قام بعمل جليل رفعت من شأنه وافتخرت بأنه من مبتكراته . ولما كان المرء مفطوراً على حب الثناء عليه تلقاء مايقوم به من العمل النافع ويلذّه سماع المدح فيه من الناس ، فلا عجب إذا اهتزّ بنشوة السرور والفرح إذا جاء هذا المدح على لسان امرأته .

والدار الرفيعة العماد بمثل ذينك الزوجين ، لهى الدار المباركة التي ترفرف عليها أجنحة السلام والأمن ، والكهف الذى يلوذ به رب الأسرة بعد نهار كله حرب وجهاد فى سبيل إسعادها ، بل الواحة المتدفقة المياه الناضرة الأعشاب الطيبة الثمار لقاطع أجواز الفلاة وطاوى فيافي الصحراء . كلما دنا منها دبّ فى نفسه دبيب الأمل والرجاء ، ثم لا يكاد يبلغ الى أطرافها ، حتى تهبّ عليه من ربوعها نسمات الهناء والسرور ، فتجدد فى نفسه من القوة والهمة ما يعاونه على متابعة السير فى طريق الحياة ، والعود منها ظافراً بمطالبه .

*

التزين والتجمل

يهمل بعض الزوجات العناية بالزينة والتجمل عقب التزوج ، اعتماداً على ارتفاع الكلفة ووثوق عرى الألفة. ولكن الأزواج يفسرون خطتهن على غير هذا الوجه ، لا سيما إذا رأوا منهن العناية بالتجمل والتفرغ للتبرج ، كلما هممن بزيارة قريبة أو حبيبة .

ومما لا محيد للمرأة عن رعايته والعمل به أن يكون تجملها لزوجها فقط إذ هو حق له لا يسقط ، ولو بمضي الشطر الأعظم من العمر .

والتجمل للزوج من خير الوسائل لمداراته ، إذا تحركت في نفسه عوامل الأنانيـة وحب الذات . ولما كان الزوج جنوحا بطبيعته إلى التسلط على فؤاد زوجته والقبض على زمامها ، بل وإلى حب الاستشعار بحلوله فيه المنزلة الرفيعة منه ، فأن هـذه الحاجة لن تقضى له إلاّ إذا برزت اليه في أحسن المظاهر وأجلاها . وحسبها أن تأنس منه عندئذ

الميل الصادق إلى معاملتها بمثل ما يحب أن تعامله به ، خصوصا إذا بلغت من السن حدّا تخشى عنده سقوط دولتها من قلبه .

وربّ معترضة على ما تقدم بأن النساء لا يطقن ، لعزة نفوسهن ، ضيم التزلف والتصنع فى سبيل استمالة الأفئدة اليهن . وهذا الاعتراض مدفوع بأن الحكم على المرء بحسب صفاته المعنوية فرع من الحكم عليه بمقتضى صفاته الحسية . وهو ظاهر لمن يريد الحكم على زوجة فيراها قذرة الثياب شعثة الشعر متسخة البدن ، ويبنيه على اعتبار ما للزوج من الحق فى تحرى مزايا النظافة والترتيب والقصد فى زوجته ، إذا كان ممن يقدرون الحياة البيتية قدرها ويودون أن تقوم دعائمها على أسس من تلك المزايا الفاضلة .

ولسنا نطلب من المرأة ، إذا زينا لها التجمل للبعل وحضضناها عليه ، أن تضيع صفوة الوقت أمام المرآة لتعجب بجمال صورتها وطول شعرها واعتدال قدها ، بل نريد استنفارها إلى التمسك بتلك المزايا التى تتناول تسوية الشعر

وتنسيق الملابس على وجه خال من أثر التصنع .

ومن النساء من يجارين الزوج فى ميوله ، فلا يتحلين بما يعلمن سوء وقعه فى نظره ولو كان مرغوباً فيه منهن ، حلياً كان أم ثيابا .

ومنهن من يصفن الزوج الذى لا يروق له شكل حليّ أو لون ثوب بالمستبد المتحكم . ولكن العاقلات الرصينات لا أحب اليهن من هذا الاستبداد ما دام فيه رضى أزواجهن وتعلقهم بهن .

وما أكرم سجايا الزوجة التى إذا طرق زوجها عليها الباب ، تهب للقائه بأبهى مظاهرها نظافةَ ثيابٍ وطلاقةَ محيا وبسامةَ ثغرٍ . وما من امرأة تلقت بعلها بهذه المظاهر ، إلاّ وقد هبطت من قلبه المكان الأرفع والمرتبة التى لا مطمح بعدها لطامح .

*

الزوجة الزكية

لا يكفى فى استرضاء البعل واستمالته ، أن تكون حليلته مشرقة الحسن جمة الأدب مقيمة على الولاء له فى السراء والضراء . بل ينبغي أن تكون من الذكاء وحدة الذهن بحيث تدرك حقيقة الأعمال التى عليها مدار معيشته وتقف على سرها ، فلا يعدم منها المؤازرة برأي سديد ولا المساعدة باقتراح مفيد . وترتفع من بينهما فى المحادثات أسباب سوء التفاهم الذى كثيراً ما يفضى إلى أوخم العواقب ، بالرغم من تلك الخصال العالية والمزايا الثمينة .

ولسنا بذكاء المرأة وسعة عقلها نريد أن تكون عداد من غاصوا بحار العلوم والمعارف أو أحرزوا شهادات العبقرية والنبوغ ، وإنما نحب أن يتوافر فيها التمييز والقدرة على وضع الاشياء فى مواضعها . فلا تجاوب جوابا لا ينطبق على السؤال ولا تكيل القول جزافا ولا تتمسك برأى

ظاهر الفساد والبطلان ، إلى غير هـذا من سقط القول ولغو الحديث وتخرصات العجائز .

ويجمل بالزوجة أن تجعل نصب عينيها الحقيقة الآتية وهي : إن الرجل لا يطيق كثرة الكلام وتبادل الأخذ والردّ ، فيما لا يجدى نفعاً . فلتقصر كلامها معه على ما لا يتجاوز نطاق الموضوع . فاذا عملت بهذه النصيحة وجعلت رائدها فى التفهم والافهام قلبا واعيا وعقلا مدركا ، أيقنت أن زوجها لا يلبث أن يكاشفها بأسرار أعماله كلها ويستشيرها فيما يتوقعه من رجاء أو يأس ونجح أو فشل ، ويؤثر عنها وتتخذ أنها عون بعلها فى مهام حياته وشريكته فى السراء والضراء .

وخليق بها ألاّ تقف ، بعد الزواج ، عنـد حد ما علمته فى المدارس أو تلقته بالتجربة فى بيت والدها . بل تحاول فهم شيء من المهنة التى يزاولها زوجها ؛ لـكي إذا جلسا للمسامرة لا يضجر سمعه ذكر مسائل الخدمة المنزلية وما شاكلها ، ولا يضطر إلى مغادرة البيت للتمتع بمسامرة من يفقهون قوله من الرفقة والأخدان ، ولا يجدون

صعوبة فى تفهيمه مرادهم ، فيخلص بهذا من عناء البحث فيما هو بالنساء ألصق منه بالرجال .

وأسمى النساء إدراكا واكملهن حجى هي التى بعد إشرافها على الشؤون البيتية كافة ، ومراقبتها خلال النهار الخطير منها والحقير ، تسمو الى مرتبة سنية من الادب واللطف والبشاشة وعلو الادراك والفهم ، لتقابل فيها بعلها فيجرى بينهما الحديث بلا كلفة ، كالماء المنحدر في غدير لا تعترضه الأعشاب ولا تمنعه العوائق عن المضيّ فى مجراه .

الزوجة الغيور

إفراط الزوجة فى الغيرة نقيصة تفضى إلى فك عرى الأسرة وخراب الدور العامرة . لأن الغيرة عامل نفسي كثيراً مايدفع بصاحبه ، عند أقل شبهة وأيسر ظنة ، إلى التطرف فى القول والخروج منه الى البذاءة أو مايقرب منها ، ويزعج خاطره بما يبثه فيه من الريبة فلا تهدأ له ثائرة إلا ببث الأرصاد وإذكاء العيون لا خذ الآفاق على الزوج

ومراقبته فى حركاته وسكناته .

والغيرة خلة ذميمة بل مصاب جالل كثيراً مايجنى على الأسر ويخرب بيوتا كانت زاهية بالعمران والسعادة .

والمرأة الغيور كالحاكم المستبد ، وزوجها أشقى عباد الله وأسوأهم حظاً . لأن الغيرة نتيجة وهم إذا استقر فى الذهن استحال إلى جنون .

وسببها الأفراط في حب الذات والأثرة .

وأول ماتتسرب الغيرة الى نفس الزوجة فى صورة وهم يلقى فى اعتقادها أن زوجها يشرك بحبها سواها . فتطلق العنان للظنون والاحتمالات وتستنتج من مقدمات الحوادث الصغيرة أكبر النتائج وأشدها خطراً ، وتظل هكذا فى عذاب نفس وقلق ضمير ، حتى إذا حضر زوجها أمسكت بتلابيبه وطالبته أن يعترف لها بما تخال أنه قد اجترمه من المنكرات . فينشىء المسكين يسرد لها كيف جاء وكيف ذهب وبمن التقى فى طريقه ، وماذا رأى . فأذا أورد لها حوادث يوم ولم تجد فيها ماتؤاخذه عليه ، وكان الرجل ذاته متصفا بالكمال والاستقامة فأنها لا تصدق

منها فتيلا ، فتضطره إما الى الكذب حتى تؤمن به أو إلى إيقاد نار الخلاف والشقاق بينها وبينه .

وماأسوأ حال الرجل الذى يسوقه الحظ العاثر إلى الوقوع في براثن امرأة من هذا الطراز ؛ فأنها تكدر عليه صفو الحياة ، بما تطالبه به من الطاعة العمياء لها . فأذا شهد عجوزًا قد صدمتها مركبة فهمّ بأسعافها ، أو أنهكها تعب فأخذ بيدها رفقا بها وتوقيراً لها ، كان من ذلك الخطب المدلهمّ والمصاب الجلل . لأنها إذا رأت هذه الشهامة رأى العين أو اتصل بها خبرها ، اتهمته بالرابطة بينه وبين غيرها من ربات الخدور وظنت به الظنون ، فيثور بينهما غبار الشقاق بما يكون مصيره الفراق ، أو الاقامة من الحياة الزوجية على الضيم الدائم والخسف المهلك .

ومما لامشاحة فيه ، أنه مهما تدرع الرجل بالصبر وطال احتماله ، فلا بد لغيظه من فورة ولخاطره من ثورة تخرجان به عن دائرة الحلم فيتعمد التخلف عن بيته في أغلب أوقاته ، ولا يبالى بما يسمعه من غضب زوجته وصخبها وتذمرها ، ولا يحرك منه ساكن لادحاض مايترامى اليه من الأنباء السقيمة

والتهم الكاذبة التي يرمى بها . هذا إذا ترفع عن معاملتها بالفظاظة والشدة ، من ضرب أو إهانة بالقول المقذع .

خريّ بمن منيت بمصاب التطرف فى الغيرة ، العمل لاستئصال هذه الرذيلة من أعماق فؤادها واتباع مانصحت به سيدة عجمت عود الزواج وذاقت حلوه ومرّه ، حيث قالت :

« اعتدت صون الأذن عن سماع قول الوشاة فى حق زوجى ، يريدون به فصم ما توثق بيننا من عرى الألفة ، فكفيت نفسى بذلك مؤونة العناء فى تحقيق ماينقلونه منه اليّ . وزدت على هذا الأعراض تصديقى إياه فيما يعربه لى عن خالص الودّ ووثيق الارتباط . فأذا صح بعد ذلك أنه أتى أمراً إدّا ، فلست بمرهقة نفسى أبداً بعبء استطلاعه أو الاهتمام به . لأننى إذا انحدرت فى هذا التيار ، فأنما أكون كالباحث عن حتفه بظلفه »

*

الزوجة وعلاقتها بالاغيار

إذا انتحلنا لسلوك الزوجة الغيرى عذرا كالحمق أو التهوس أو حب التناهى فى كل أمر، فلا عذر لمن تنسى أو تتناسى حق اختصاص الزوج بها، فتتبرج بأنفس ما عندها من الحلي وأفخر مالديها من الخز والديباج، تقصد لفت الأنظار اليها.

الزوجة التى هذا وصفها تضحى كرامتها وسمعتها على مذبح الطمع فى إعجاب الناس بجمالها. ولو أن بها مسكة من العقل لاستنكفت أن تجعل سيرتها مضغة فى الأفواه بدأبها على التخطر فى الطرقات لتعرض بضاعة حسنها المجلوب وجمالها المموه على أنظار السابلة، بينما حاجة البيت إلى التدبير تتطلب منها التوفر على مباشرتها والقيام عليها قياما لن يتسنى لها إلا إذا لزمته سراة وقتها.

وآصرة القرابة أو النسب تضطر الزوجة، فى حدود عينها الشرع، الى مخالطة الذكور من أقربائها. ولما كانت

المخالطة فى ذاتها مثاراً لسوء الظن فى نفس الزوج ، فجدير بها وهى خير من يؤتمن على الكرامة ويجتنب مواقع الشبه ، قصر تلك المخالطة على تبادل السلام دون الأيغال فى ميدان الكلام .

ومن الأزواج من يجنح ، لسبب عنّ له أو لمبدأ لا يود الحيد عنه إلى منع حليلته ، بعد الاقتران بها ، من زيارة صديقات عهد الطفولة أو رفيقات المدرسة . فيحسن بها فى مثل هذه الحالة ألا تتعجل باتخاذ هذا الحرمان مثاراً للشقاق بينها وبينه ، بل الواجب عليها التريث حتى يجدّ من الحوادث ما فيه مقنع بصوابه ، فتلزم الصمت أولا ثم تغتنم فرصة للاستفسار عن سببه . فأما أن يكون الجواب إقراراً بخطأ فيزول المانع ، أو تقريراً لصواب فتشكر إرشاده إياها إلى خير ما تبتغيه له ولنفسها .

أما تلك الصديقات ، فلها فيما بعد أن تطرق أبواب المعاذير لانصرافها عنهن . كأن تخبرهن مثلا بأن احتجابها لم يكن عن ضجر من معاشرتهن أو غضّ من كرامتهن ، وإنما هو لدواع ماسة بمرافق البيت وشؤون الأسرة .

ولتحذر الحذر كله من مقابلة أوامر الزوج بالأعراض أو الاعتراض ، إذا أبى إطلاعها على سبب المنع . فأن الأيام كفيلة بأظهار المخبأ . فأذا ظهر ، فأنها لاتلبث أن توقن بصواب نظره فيما أراده من مقاطعتها لواحدة أو أكثر من تلك الصديقات .

ويحسن بها إذا اضطر الزوج الى سفر طويل ، أن تستدعي إحدى ذوات الأسنان من قريباته أو قريباتها لتأنس بها ولتلزمها فى روحاتها وغدواتها ، أو أن تقيم بين أهله أو أهلها ، ريثما يعود من رحلته . وقد كان نساء الطبقة العليا بفرنسا فى القرن الثامن عشر ، إذا غاب عنهن الأزواج فى أسفار بعيدة يلزمن الأديرة التي تربين ونشأن فيها ، حتى لاتنال منهن ألسنة المتخرصين أو تتناولهن ظنون الظنانين .

*

الزوجة المحبة لبعلها

يتبادر إلى الذهن مما سلف ، أننا نريد الزوجة على أن تفنى في بعلها ، فتصبح تجاهه ولا مشيئة لها وتكون منه بمنزلة الرقيق من صاحبه . والحقيقة أنها إذا أخلصت له الود ، تنزل له بمحض إرادتها عن ذاتيتها وتلتمس الفناء فيه وتتوفر على العمل لارضائه . فتراها تصرف جهودها إلى استجماع أسباب الهناء في البيت ، بالاجادة في تنسيقه والاحسان في ترتيبه صونا لنظره من رؤية ما لا يحب ، وتعنى بطهي طعامه وتجهزه له على الوجه الذى تعلم أنه يدعو إلى اغتباطه ويلائم صحته وينمي قوته وينشط همته .

الزوجة التى تسير على هذا النهج تعتقد أن خير أويقات يومها لتلك الساعة التى يؤوب البعل فيها إلى بيته ، بعد قضاء النهار فى جهاد الحياة . ولقد ينالها من مباشرة شؤون البيت ما يذهب بقوتها ويضعضع دعائمها ، ولكن متى أزفت تلك الساعة ؛ أحست القوة الفانية تعاودها

شيئاً فشيئاً والنشاط والهمة ينبثان فى أعضائها ، إذا ما تجلى لها محيا الزوج المحبوب وفكرت فى لذة الحديث الذى سيقضيان بعض وقتهما فيه ، تناجياً فيما قام كلاهما به من العمل الطيب لصالح الأسرة التى هما الدعامتان الوطيدتان لها .

فبم يقابل الرجل هذا الولاء والوفاء وما تجزاه امرأته مثال الزوجات الصالحات ؛ لا يمكن أن تجزى على ولائها ووفائها إلا ولاء ووفاء مثلهما ، وأن يقف الزوج نفسه على رضاها ، معاهداً إياها على قضاء الحياة معها فى سلام ووئام .

الزوجة والحماة

لا تكاد تنتهى حفلة الزفاف حتى تتناسى العروس بهجتها وتمحو ذكراها ، كي تفتح أبواب قلبها للحقد على حماتها . ترمى بذلك إلى الاستئثار بمحبة الزوج لها دون والدته ناسية أنها بما تقدم عليه من فعل إنما تظهره فى أعين الناس بمظهر الابن العقوق المنكر ما أولته أمه إياه من حسن

التعهد طفلا ، وخولته من نعمة التعليم والتربية يافعا ، وجعلته بحياطتها العامة أهلا للزواج بمثلها .

وكان حقا عليها ، بدلا من أن تفجأها بالكراهية ، أن تنظر فترى أنها لم ترد بها شرا ولم تجبهها بحقد مع أن مثلها ، وقد داخلها الاعتقاد بأن زواج ابنها حرمها لذة الاستئثار بمحبته ، لا جناح عليها إذا دبت إلى نفسها الكراهية لكنتها .

وقلما نجد بين الزوجات من يعنين باستلال تلك الكراهية من صدورهن . فلا عجب إذا رأيناهن فى غالب الأحيان عاملات على تمزيق أوصال الأسرة وحل عقدها بما ينفثنه من سم الخلاف فيها ، لا تزحزحهن حجة عن الاعتقاد فى الحماة أنها الخصم اللدود الذى تجب عليهن محاربته من بادىء الأمر ، لاتقاء شروره . ومن ثم تراهن مجدات في تحرى مغالط الحموات وتتبع سقطاتهن ساخرات بكل ما يصدر عنهن من قول أو فعل . ترمين بذلك كله إلى قطع الصلة بين البعولة وأمهاتهم للاستئثار بهم دونهن .

والتفريق بين الأمهات وأبنائهن قطع لصلة الرحم

واغتصاب لحق قرره لهن الشرع والطبع ، ألا وهو حق البر بهن والحب لهن والعطف عليهن . والأبناء البررة بوالديهم لن يغفلوا أداءه ، التماسَ الفوز برضى زوجاتهم

أسرة الزوج

بعض الزوجات لا تقفن عند هذا الحد من الكراهية بل تستخرجن أضغان صدورهن ، يرمين بها آل أزواجهن جميعا .

تراهن ، كلما لاحت لهن الفرصة ، تنتقصن من أقدارهم باللفظ الجارح والاشارات المعيبة ، أو تغتابهم بما لا تستطيع أن تصدمهم به وجها لوجه . وربما كانوا قد أسدوهن جميلا أو خولوهن نعمة فيجيء ذلك الاستهتار ، بعد نكران الجميل ، ضغثاً على إبالة .

وكثيراً ما ينتهي الأمر بالأزواج إلى اجتناب إخوتهم وأخواتهم ، بسبب تلك الغيبة التي تتورط الزوجات فيها للاستئثار بأزواجهن . وربما انحلوا لتسويغ ما أرادهم نساؤهم

عليه من مجافاة أهليهم كراهية هؤلاء لهن . إن اؤلئك الأزواج الذين تلاشت إرادتهم فى إرادة نسائهم لايصح توجيه القول اليهم ، إذا خوطبوا فى أمرهم ، بغير التنبيه الى رعاية ما أوجبه عليهم الشرع والطبع من صلة الرحم ، بتعهد الوالدين وتفقد القرابة الأقربين .

قواعد مختلفة للعمل بها

إذا استمكنت من نفس الزوجة بواعث الشر ولم تعمل الروية فى قول أو فعل ، فقد نكست بيديها أعلام هنائها وسعادتها .

ومما يحسن بها ، دفعا لهذا الخطر ومنعا لما يعقبه من الضرر ، احترام أسرة الزوج . فلا تحرى مظان السوء أو مواقع العيوب في أفرادها فتفشيها للشارد والوارد ، ولا تلتمس سقطاتهم فتشهر بهم من أجلها . لأن وصمها إياهم بالعيوب والمقابح وصم له بهـا . وهو ان يرضى طبعاً عمن ينال منه ومن أهله ، ولو كان أعز الناس عليه .

وإذا اقتضت الضرورة الأشارة إلى تلك المقابح ، فالتتوخ في إيرادها مجرد الألماع في رفق وتلطف ، دفعا لما ينتاب صاحبها من الخذلان وكسوف البال . وهل يرضيها إذا كانت تولى الزوج حباً صادقاً ، أن تجعل سيرة أهله مضغة على الدوام في فمها ؟ أم هل قد محت من فؤادها كل أثر لهذا الحب فأرادت بالقدح المعيب فيهم أن تحمله على المضيّ في سبيلها ، وأن تثير بينها وبينه بسببهم ثائرة الشقاق المؤدى حتما إلى الفراق ؟

وربّ زوجة تتوعد حماتها أو أخت زوجها بويل الانتقام ، بوهم أنهما لم يقوما نحوها بالمفروض في أمر ما .

فإذا كلف الزوج نفسه استقصاء هذا الأمر وجد أنه من الهنات الهينات ، كبادرة زلّ فيها اللسان أو هفوة وقعت عن غير عمد . والزوجة العاقلة الرصينة لا تجعل للحقد مسرباً إلى نفسها بتجسيم الصغائر ، ضنا بهناء الأسرة أن يتحول إلى شقاء .

وخليق بها أن تتريث ، فقد تأتى الحوادث مثبتة للحق في جانبها . فتربح بأناتها وصبرها صفقتين : علوّ

المكانة فى نظر الزوج واجتنابها شر الامتعاض المكدر لصفو الحياة .

وأكرم بالزوجة الحريصة على الأسرار ! فأنها لا تبوح بما يشجر بينها وبين زوجها من الخلاف حتى لوالديها ، ولا تفضح ما تطلع عليه فيه من نقص جثمانى أو نقيصة نفسية . وإلا كانت من المتهورات الطائشات اللاتى سرعان ما ينقلن ذلك إلى والداتهن ، فتقوم بين الفريقين عاصفة هوجاء سببها إفشاء السر وعدم التمسك به من أحد الزوجين أو منهما معاً .

وجدير بها أن تصون السمع عن تخرصات الساعين بالوشايات والمتشدقين بالأفك والتهويلات . وخير الوسائط لاتقاء شرورهم ، عدم الأنس اليهم فى مصارحتهم إياها بالأسرار ، ولطف الاحتيال في اعتزالهم والفرار منهم . وقد يكونون من السماجة والجرأة بحيث يبيحون لأنفسهم الألحاح ، بأتباع السؤال بالسؤال لاستطلاع الأسرار وتقصّى الأحوال . فأفضل ما يتبع حيالهم ، الميل بهم عن النهج الذى يترسمونه للوصول إلى بغيتهم . فأن هموا بالعودة

اليه حيد بهم عنه ، بتحويل وجهة الحديث إلى ناحية أخرى . ومتى أيقنوا بخيبة المسعى ، عادوا أدراجهم يحدوهم الفشل ويحف بهم الخذلان والخزي . فيبقى الهناء فى الأسرة مصونا والسعادة فى منجاة من عبث العابثين .

معاونة الزوجة لبعلها

الزوجة الجديرة بحسن الذكر والخليقة بالثناء والحمد ، هي التى تحرص على الزوج وتعاونه على توفير الهناء فى الأسرة وتنمى بحسن تدبيرها ثروته ، مسوقة إلى ذلك بعاملين شريفين : الأخلاص له والعمل لرفع شأن الأسرة .

ومركز الزوجة فى الأسرة لا يلزمها النفقة على البيت ، ولو كانت صاحبة مال . قررت هذا شرائع كثيرة ، وفى طليعتها الشريعة الأسلامية السمحاء . وتقييد هذا المبدأ فى فرنسا ببعض القيود ، هو الذى حدا بنساء العمال فيها إلى تكرار العبارة الآتية التى سارت بينهن مسرى الأمثال « خلق الرجل لكسب المال والمرأة لأنفاقه »

وإذا صحّ أن المرأة خلقت لأنفاق المال ، فليس المراد بالمثل هنا أنها تبعثره ذات اليمين وذات الشمال . بل أن تراعيَ القصد فيه فلا تغلل يدها به إلى عنقها ولا تبسطها كل البسط ، وتتفرغ فوق ذلك لعمل مما تتقنه ، كالتطريز أو الوشي . إما لأسرتها فتكفى زوجها بذلك مؤنة النفقة الكبيرة وإما لغيرها فتجنى منه ثمار كدها ، تنمى بها ثمار كدّ الزوج وتعززها .

ولن تشقى أسرة أو تضام أمة ، إذا كانت نساؤها من هذا الطراز . فالأسرة الفقيرة ، إذا ألقت إلى أمثالهن مقاليدها وكانت في الدرك الأسفل من البؤس والشقاء ، لا تلبث أن تصعد إلى قمم السعادة والهناء . وكيف لا تتقلب في بحبوحة النعمة ، وقد أصبحت من العيش في سعة وبدلت من عسرها يسر ، بفضل ذلك الاعتماد على النفس سواء بقضاء المرافق البيتية مباشرة أم بمشاركة الخدم .

*

الزوجة اذا احسنت التدبير

إذا كانت الزوجة مثرية ، فقد كسفتها ثروتها عناء تدبير بيتها بيدها . غير أن هذا لا يعفيها من واجب الاشراف على الخدم ، لكي تجيء أعمالهم طبق مرادها .

والواجب عليها قبل الركون اليهم ، أن تستوثق من أدبهم وأمانتهم ونشاطهم . فأذا أنست فيهم هذه الصفات المطلوبة من الخدم ، وزعت عليهم الأعمال المنزلية بحسب ما تعهده فيهم من الكفاءة لأداء كل صنف منها فى الزمن الذى تحدده ، دفعاً للاهمال أو التقصير . فخديم السماط لا يناط به طهي الطعام ، وطاهي الطعام لا يكلف بتنظيف الأمتعة وتنسيقها على مثال تقرّ به أعين الناظرين .

ولا مندوحة لها ، مهما يكن ارتياشها ويسارها ، من محاسبتهم على الفتيل والنقير ، صدّا لمطامعهم التى إذا أرخي لها العنان لا تقف عند حدّ وتحذيراً من التفريط المفضى إلى الخسارة . ألا ترين ، أيتها الزوجات ، ما اعتاده الطهاة

من ترك فائض الطعام مثلا عرضة للفساد ، وطرحهم إياه على الأرض أو فى إناء القاذورات إذا اعتراه الفساد ؟ أما كان الأولى بهم إلقاؤه فى معدة جائع أو ابن سبيل منقطع ؟

ونساء الطبقة الوسطي ربات العناية بشؤونهن المنزلية تباشرن بأنفسهن طهي الأطعمة وتهيئتها وتنظيف المتاع وتنسيقه وتطريز الثياب لهن ولأولادهن .

أما نساء الطبقة الدنيا فيسرن أيضا على هذا الدرب ، مع كثرة أولادهن . والناظر للنساء فى دورهن ، سواء أكنّ من هذه الطبقة أم من تلك ، يجدهن فى حركة متواصلة للقيام بتدبير شؤون منازلهن ، واهتمام تام بحساب أثمان ما اشترينه من الحاجيات وفحصه ، لتبين خبيثها من الطيب ، وعناية فائقة بوضع كل شيء فى موضعه واتخاذ الحيطة للمستقبل . تهيئن ملابس الصيف فى أخريات الشتاء وثياب هذا فى أخريات ذاك ، وتنظمن أعمالهن على وجه يوقيهن فيما بعد شر الوقوع فى الحيرة والالتباك .

*

الزوجة اذا اساءت التدبير

من الزوجات من تروح وتغدو وتصعد وتهبط وتفتح وتغلق وتعطى وتأخذ ولا تكف عن الحركة ، فيخيل للرائى أنها تقوم بأعمال كثيرة وتؤدى للمصلحة المنزلية خدما جليلة . فأذا بحث عن ثمرة حركتها الدائمة فلا يجدها شيئاً أو يلفيها ضئيلة كالثمرة الجافه ، لا تستحق الاهتمام بأمرها . ذلك لأنها لم ترسم لأعمالها قبل الشروع فيها خطة مبينة ولم تقيدها بغرض معين ، فأذا ما بدأت تحرك كانت حركتها على غير هدًى ولا إلى غاية ما .

ومنهن من تعتقد أنها المثل الأعلى فى حسن التدبير فتقطع وقتها فى تهيئة مقدار من الحلوى ، مثلا ، زائد عن حاجة الآكلين . فهو إما أن يفسد فتطرحه على الأرض وإما أن تفرقه على قبيل الهدية فتنحرف بتصرفها عن الغاية التى قصدت اليها ، وهي الاقتصاد . ولو أنها أحسنت التدبير وضبطت التقدير لما وقعت ، بالرغم من أنفها ، فى

هذا التبذير .

ومنهن من تقضى الوقت فى تزويق بهوها أو تنميق مخدعها ، وتنفق فى هذا السبيل مالا جمًّا ، ثم يجىء عملها منافياً للذوق السليم لأغفالهـا قبل الشروع فيـه الأخذ بالأنماط المستحدثة التى لا ينفر منها الطبع .

ومنهن من تتظاهر بالحرص على الدقيقة الواحدة تمر بها من غير عمل ما ، افتخاراً بنشاطها وهمتها . ولـكنك إذا استقصيت عملها ، تجد أنه ممـا لا يقام له وزن ولا يرجى منه نفع . فأنما قيمة العمل بالفائدة المرجوّة منه ، لا بما يمضى من الوقت فى إبرامه أو بمـا يؤلفه من المواد ولو كانت الذهب المصفى .

تلك الزوجات وأشباههن لا يصح أن يقـال عنهن أنهن يحسنّ التدبير المنزليّ . لأنهن يتوخين فى اختيار الأعمال ما يسهل القيام به منها ، لا ما تحقق نفعه . وشأنهن فى ذلك شأن اللائى يفنين دقائق الوقت بمطالعة القصص أو يأنسن بالدعة والخمول ، تاركات شؤون منازلهن إلى الخدم الذين لا يكلفون أنفسهم العناية بها ، إلا بقدر ما

يكون لهم من المصلحة فيها .

ولو ثابت الزوجات المفرطات إلى صوابهن ، لأدركن أن الخير كله فى مباشرة شؤون المنزل ومراقبة الخدم أثناء القيام بها . إذ فى العمل التوفير والغنى وصون النفس والعقل والجسم وتسرية الأحزان ودرأ المصائب ، وفى الكسل الفقر وذل النفس وضعف الجسم والعقل . فأذا أخلدت المرأة اليه كان مآلها إلى واحد من ثلاثة أو اليها جميعا : تلاوة الأقاصيص ، التدخين ، التخرص بخرافات العجائز . وساءت حال البيت ، فلا نظافة فيه ولا ترتيب ولا نظام . وربما بلغ من الأمر ، إذا عاد رب الأسرة من عمله ، أن ينفر من خدمته كيلا تحرم الكسل ولذته .

قواعد واساليب تتحتم رعايتها

بين الزوجات من يتوافر فيهن الميل إلى الاعمال المنزلية والدأب على مباشرتها ، وإنما تنقصهن القدرة على الاحتفاظ بالنظام ورعاية الترتيب فيها . فأنها تغفل تجهيز

الثياب الموافقة لأحوال الجو في المواعيد المناسبة من كل عام، ولا تهيء المائدة في الأوقات المعينة للطعام، ولا تباشر تنظيف أمتعة المنزل وتنسيقها في الأوان المناسب.

ويرجع ذلك النقص إلى الجهل بالقواعد والأساليب التي لو روعيت بالدقة، لجاء تنسيق تلك الأمتعة بمقتضاها من بواعث استمالة الزوج إلى لزمان بيته.

وأنجع الوسائل للاحتفاظ بنظام البيت وترتيب أمتعته على أجمل نسق، أن ترسم له الزوجة خطة ثابتة تعاهد نفسها على اتباعها وعدم الحيد عنها. فاذا رسمت هذه الخطة وحرصت على الأخذ بها، استقر ذلك النظام على قاعدة مطردة ولم يتطرق اليه الخلل يوما ما.

أرقبي أيتها الفتاة في السماء ما زينت به من الكواكب، وهي البرهان الساطع على قدرة الخالق جل وعلا، ترى أنه لولا اطراد سيرها على نهج واحد بنظام ثابت في فلك لا يتغير لآل أمرها إلى الفناء والزوال. وتأملي الفلك التي تسير في البحار، تجدي أنه لولا بعض تلك الكواكب ولولا البوصلة، لما اهتدت إلى مقاصدها في البحر المسجور.

وإنما المرأة بوصلة سفينة الدار ، إذا انحرفت عن قطب الاستقامة ولم تجذبها اليه مغنطيسية الترتيب ، فقل على مرافق البيت وهنائه العفاء !

وحريّ بالزوجة الرشيدة أن تحاسب نفسها قبل النوم فتراجعها بالسؤال عما يلزم القيام به فى الغد من الأعمال . فأما أن تحفظه فى ذاكرتها أو تدونه فى مذكرتها . فأذا حذت هذا الحذو استطاعت التصرف فى وقتها على وجه يسهل معه ما توعر من تلك الاعمال ؛ لأنها إذا خصت كل عمل بجزء من الوقت ، لا ينقضى اليوم حتى تجزه بلا تجشم مشقة . وحسبها أن تتبع فى الغدما فرضت على نفسها الاخذ به اليوم ، ليدور دولاب الأعمال بأيسر جهد على محور السرعة والاتقان

قيمة الوقت

بلغت أشاغيل الحياة وهمومها فى هذا العصر مبلغاً جعل الأشهر والأعوام غير متسعة لقضائها . فلست ترى

أحداً من الناس إلا وقد لاحت على محياه لوائح الفزع واليأس من ضيق الوقت. لا يلبث ، إذا وجهت اليه سؤالا ، أن يجاوبك عليه بقوله : « لا وقت عندى » « عن الساعات مرّ الريح » ، الخ ما يقولون لأداء معنى سرعة مرور الأيام وقصر الأعوام .

ولم تكن الشكوى من ضيق الوقت شكوى الرجال وحدهم . فقد شاركهم النساء فيها أيضاً ، إذ لا تكاد تفوه امرأة بالكلام ، حتى تعرب عن يأسها من القيام بعمل كذا أو إصابة الغرض الفلانيّ من الأعمال والأغراض المنزلية ، لضيق الوقت وعدم اتساعه لنشاطها وهمّتها .

ولا شك أنه لو لزم النساء خدورهن وعاكفن عقر دورهن وربأن بالوقت أن ينقضى كله فى زيارة الصويحبات وغشيان حوانيت الأزياء والمودات ، لوجدن من الوقت متسعاً لأنجاز أعمالهن . نعم إن فى تزاور السيدات فائدة علم ما يجهلنه من شؤون الحياة ، والزيارة فى ذاتها دين واجب الأداء ، غير أنهن كثيراً ما يحدرن فى مجتمعاتهن من الكلام فيما لا يفيد إلا التسقط ، بالغيبة الذميمة أو

الانتقاد الجارح ، على بعضهن البعض . ولا يبعد أن تدبّ إلى قلوبهن عقارب التحاسد ، حتى أن إحداهن لترى على الأخرى حلة فتتمنى لو أنها لها دون غيرها الخ ما هو مأثور من خلائق النساء .

وليس المراد إيصاد الأبواب فى وجه المرأة ، بل تنبيهها إلى أن الخروج ينبغي أن يكون للتريض واستنشاق النسيم ، حيث لا تمتد أنظار الرجال ، أكثر منه لزيارة الصديقات .

ويحسن بها أن تصطحب فى غدواتها وروحاتها ، قرينها أو أحد آلها أو ابنائها .

وإذا استدعت أعمال المنزل الأنجاز فأولى بها ، قبل التفكر فى اجتلاء مظاهر الطبيعة واستنشاق النسيم العليل ، التوفر على أدائها فى المواعيد المخصصة لكل منها .

*

حب الظهور الكاذب

من شرور هذا العصر ومصائبه التي طمت فعمت كل الطبقات الاجتماعية على تفاوتها ، حب التقليد المغرى صاحبه بالظهور فى غير مظهره . تراه يزعم أن عنده من الاموال ما لا يملك منه فى الحقيقة فتيلا ، أو ينتحل من الصفات ما يظنه داعياً الى احترامه والميل اليه .

هذا الوباء الحديث الذى سرت عدواه الى النساء — كما هو المشاهد — كان أثره فيهن أسوأ منه فى الرجال وأعم ضرراً . والمشاهد للعيان من نتائج هذا الضرر لا يحتاج الى دليل . فكم من أسرة كانت رافلة فى حلل السعادة واليسار والنعيم ، فأصبحت بسبب ذلك الداء الدوى ، عرضة للحاجة والعوز .

تشهد هذه الأسرة جلال الاحتفال بزفاف ابنة أحد الموسرين ، فما هو إلا أن يحين الوقت لتزويج ابنتها حتى تضع نصب عينيها ليس مجاراة هذا الجلال فحسب ، بل تجاوزه

والتماس التفوق عليه ، مع بعد بون ما بين الأسرتين ثروة وجاها ووجاهة . فتعمد الى رهن أملاكها ، أو بيعها بأبخس الأثمان ، لاقتناء الأعراض الزائلة من الخزي الذى لا يترتب على وجوده سعادة ولا اقتصاد .

ومما يضاعف الأسى أن الأسر من كافة الطبقات ، على تفاوتها فى مظاهر الثروة والاعتبار ، قد سارت وراء بعضها دراكا فى ذلك التقليد المعيب ، حتى أنك لترى الأسرة وقد مرت عليها الأيام لاتملك فيها قوتها ، ترنو الى الظهور فى ذلك المظهر ، مفتتنة بالوجاهة وحب السمو على النظراء . وهى خطة ينجم عنها الشقاق والخراب على كل حال .

المرأة أما

التربية عمل الأم

المرأة مرآة تتجلى فيها العواطف السامية وتنطبع الأحساسات الشريفة . فأذا طرق سمعها من الانباء ما مغزاه الأخلاص والهمة والاستقامة ، وصل صداه إلى فؤادها فاستثارها فيه من كمائنها . ذلك لأن تأثير العمل الجليل في القلب الشريف يشبه تأثير الأنامل فى أوتار آلة الطرب ، إذا غمزتها اهتزت وتموّجت وأزجت إلى الأسماع شجيّ الانغام .

تلك سنتها فى جميع أدوار حياتها . فأنك تراها إذا أقبلت على دور الزواج ، تتمنى الاقتران برجل يترنح فؤاده بما يخالجها من العواطف الكريمة ، وتبنى على هذا الرجاء

علالى الحياة الطيبة والنعيم المقيم . غير أنه كثيراً ما تتكشف لها الحقيقة عن خيبة الأمل ، بما يظهر من تنافر الطباع وتباين النزعات .

فتكون الحياة الزوجية بين هذه العوامل ، موئسة لها من تحقيق ذلك الحلم اللذيذ وهاوية بها إلى حضيض التعاسة والشقاء .

يجمل بها عندئذ ، إذا رزقت بمولود ، أن تنشئه التنشئة الحسنة . فتبث فى نفسه المحامد التى كانت ترجو توافرها في زوجها فخاب أملها . لأنها ، إذا استجمعت للعمل بهذه النصيحة شتات همتها وصرفت فيه قوة إرادتها فشب ذلك الولد على الأخلاق الفاضلة ، كان منشأ سرورها وفخر حياتها وجزاء صبرها وثباتها فى تنشئته على أقوم المبادىء وأصلحها .

فالقيام على تربية الطفل خير تعزية للأم التى لم يتحقق ما كانت تنشده فى زوجها من شريف الأخلاق وحميد السجايا

وإذا كان المولود أنثى ، فالعناية بتنشئتها على خير المبادىء أوجب عليها منها بالابن ، فهى ضربة لازم . ذلك

لأن الفتاة ستصير أماً تعهد اليها تربية رجال المستقبل ، فأذا شبت على الأخلاق الفاضلة والأساليب المحمودة من القيام على الشؤون المنزلية بحسن التدبير وجمال التنسيق ، اقتدى بها أبناؤها فأفادوا بصدق مبادئهم الوطن والأمة ، متى بلغوا مبلغ الرجال ونيطت بهم جلائل الاعمال .

وثمة أمهات كثيرات تغفلن تربية ابنائهن فى الأدوار الأولى من الطفولة ، بحجة أنها من عمل الزوج واختصاصه كأنهن يجهلن أن الزوج ، بقضائه النهار بعيداً عن الأولاد والدار عاملا على كسب ما يقيتهم به ، لايستطيع الاشراف عليهم فى تهذيب أو تثقيف ، وأنه بعودته سراعاً الى بيته بعد انقضاء اليوم فى عمله إنما يلتمس السكون المصلح لقوّته والمجدّد لنشاطه بالغذاء الجيد والراحة التى لا يشوبها فزع ولا إزعاج . فأذا توافر له ذلك استأنف عمله فى اليوم التالى بمثل ما تولاه به من الهمة والنشاط فى سابقه .

وقصارى ما للزوجة أن تطالبه به ، ألا يفسد في لحظة واحدة ما لقيت المشاق طول النهار فى تهذيب الابناء بدافع من حنان الأبوّة ولين العطفة ، ولا يترخص معهم في

الأفراط عليه بالتدلل وغيره مما يحملهم على الاستخفاف بسلطتها المنزلية استخفافا لا بد أن يتلوه احتقارهم إياه .

وعلى الوالد أن يجاريَ امرأته فيما تتبعه من الأساليب الصالحة لتربية أبنائهما . ويعدّها بآرائه في ذلك ويشاركها فى وضع الخطط الكفيلة بسير التربية على النهج القويم وإصابتها الغرض المقصود .

وما أعظم الفارق بين هذا النهج وبين مسلك الأم التى إذا آخذت ابنها على خطأ صاحت به : « متى حضر أبوك أخبرته بسوء فعلك لينكل بك » . فأنه لا أقبح فى سياسة التربية من اتخاذ الأب أداة للأخافة والأرهاب ، إذ أن فيه ما يبغض الولد فى أبيه ويغرز فى نفسه طبيعة الجبن وضعف الأرادة ويحرم الوالد لذة حبه لبنيه . وأعقل النساء التى لا تستمد بالسلطة الأبوية فى زجر الأولاد ، إلا فى الأحوال الخطيرة والظروف الحرجة .

واجبات الأم نحو نفسها

ينبغي ألا يؤدى انكباب الأم وحرصها على تربية أبنائها إلى إغفالها العناية بنفسها ، لما يترتب على انحطاط شأنها من الضرر بأفراد الأسرة جميعاً . ولبعض الأمهات مذهب غريب فى هذا الأمر ، فأنهن يرين فى الانصباب على تربية الاطفال واجباً لا واجب بعده ، فيجعلن قضاء الوقت فيه غايتهن الوحيدة من الحياة . وهى شنشنة محمودة ونزعة مشكورة بلا خلاف ، غير أنهما مضرتان وضررهما لا يقتصر عليها بل يتناول أفراد الأسرة أجمعين . ذلك لأن التوفر على التربية والتفرغ لها دون سواها من الاعمال لما يذهب حتما برونق حسنهن وقوة أبدانهن . وكثيراً ما يغلو بعضهن فى ذلك ويتشدد حتى يجاوز الحدّ، فأذا حانت ساعة الطعام مثلا وكان الزوج غائباً أو الابن ، يمسكن عنه فى انتظارهما كلاهما أو أحدهما ، بحجة أنهن لا يستشعرن بالأقبال عليه دونهما ، ولو علالة . وقد يعمدن إذا آيسن

من الانتظار إلى لفاظات الموائد السابقة أو إلى كسرة خبز بلا أدم لا تغنى ولا تشبع من جوع لتغذية جسم أنهكه التعب وأتلفه الضناء متنحيات عن الألوان الشهية ليفوز بها الأزواج والابناء عند حضورهم . ثم لا يلبثن أن يزاولن عملا آخر من الأعمال المضنية للجسم والمتلفة للصحة .

إن تفانى الام فى الاخلاص لزوجها وبنيها خلة محمودة. وفضيلة تستحق عليها جزيل الشكر . إلا أن تطوحها فى أنكار الذات إلى هذا الحد يمحو آية حبها من قلب الزوج ، إذا سلبها المحاسن الجثمانية . والحب بين الزوجين عماد الأسرة ورباطها .

ومما يخلق بالمرأة أن تجعله على الدوام نصب عينيها ، الاحتفاظ بمحبة زوجها استدامة للهناء والسعادة فى الأسرة فلا محيد لها إذاً ، ولو طرقت أبواب الشيخوخه ، عن أن تجمل له بعض التجمل ، ولا تثريب عليها فى ذلك مع نزاهة القصد وشرف الغاية .

وليس المراد بالتجمل إنفاق المال فى متلفات الوجه ومفسدات بهجته ونضرته ، وإنما لبس الجميل النظيف من

الثياب وسياسة الشعر وصيانته ، وهو أجمل حلية للمرأة وأثمنها فى دور الشيخوخة ، ووقاية اليدين من التفلع الناجم عن ممارسة الأعمال الخشنة . ويجب عليها فى هذا الدور من العمر أن تخفف من غلواء نشاطها فى العمل ، لأن الافراط فيه متلف للصحة وهي نصف الجمال . وربة الدار يختل نظام دارها ، إذا هي تولاها الضعف أو لزمتها الاسقام ، فتتبدل فيه السعادة والهناءة بالذل والشقاء

استقبال المولود

يؤثر عن عبد القادر الأمير الجزائرى المشهور بمناصبة الفرنسيين ، ذوداً عن وطنه أنه قال : « أفضل النساء من تحمل فى بطنها ولداً وعلى ذراعها ولداً ويجرى خلفها ولدٌ »

ومعنى هذه الحكمة صريح فى بيان فضل النسل وأنه غريزة أودعها الله الانسان ، لحفظ النوع من الانقراض . والتناسل لا يكون إلا بالتأهل على الطرق المشروعة

فى المذاهب . فهو إذاً الغرض المقصود من الزواج والغاية التى يرمى اليها . ولولاه لما تسلسلت الأعقاب وعرفت الأنساب .

ولكن طائفة كبيرة من المتزاوجين لا يستقبلون المولود الجديد بما يستحقه من الفرح والاستبشار ، لتخيلهم العجز عن قضاء حاجاته أو توقعهم الحرمان بوجوده من الاستمتاع . ولو مضوا جميعاً فى تيار هذا الخوف لانقرض النوع البشري بلا جدال .

وإذ لم يكن في مصر بلد انفرد أهله بحب الذرية والتكاثر لنجعله مضرب المثل فى هذا الموضوع ، فأنا نذكر هنا عن أهل مقاطعة برتانيا فى فرنسا أن حبّ الذراري قد بلغ بهم إلى حدّ أن الطفل إذا يتم من أبويه ، اختار شيخ القرية لكفالته امرأة من فضليات نسائها .

والمألوف أن الكافلة تتلقي اليتيم بالسرور والاغتباط ، فتعوله وتقوم بأمره كأحد أبنائها بل وتباهي به جاراتها ، إذ تقول لهن إن هذا الطفل منحة حباها بها المولى وأن عليها النهوض بواجب الشكر له عز وجلّ على ما أنعم .

وإذا مرّت امرأة تحمل غلاما ، هتف لها المارة بقولهم «بورك فيك» ولو كانوا ألد خصومها .

فمن الواجب على المرأة أن تجعل النسل غايتها المنشودة من الزواج ، وتعتقد أنه الغرض المقصود منه ، وتحسب نفسها سعيدة بتربية أبنائها ، وتعلم أن وجود الابناء يوثق الرابطة الزوجية ويذهب بكل أثر للجفاء بين الزوجين .

لبن الام

قال حكيم : « لو عكف الوالدات على إرضاع أبنائهن ولم تعهدن فى ذلك إلى المرضعات بالكراء ، لصاروا أصحّ أبداناً وأنضر وجوهاً وأطول أعماراً » .

ولقد أيد الواقع المشهود ، قبل العلم ، هذه الحقيقة فكان عجباً أن تتنحى الوالدات عن القيام بفرض جعلته الفطرة عليهن ضربةً لزامٍ ويبخلن على مواليدهن بالغذاء الذى أودعته الطبيعة إياهن برسمهم ، لا لشىء إلا الحرص على محاسنهن أن تذوى زهرتها وعلى بهجة جمالهن أن تذهب

نضرتها .

وهنا محل للتساؤل : تلك المرضع التى تنوب مناب الأم فى إرضاع وليدها ، بل التاجرة التى تبيع لبنها بثمن بخس ، هل تعنى بشؤونه كما تعنى الأم بها ؟

إن بين المرضعات الأجيرات من يقمن بواجبهن خير قيام ، وهو أمر لا مشاحة فيه . ولكن ألا تخجل الأم من تخيها عن أخص واجباتها إلى امرأة ، إن وثقت بحنانها على ولدها ورفقها به ، فلن تدري حقيقة لبنها أتشوبه جراثيم الآفات الخفية والأمراض الباطنية أم لا . لأنه إذا كان بها مشوباً ، فأن الولد إذا شب ، يصبح عرضة للامراض البدنية والنفسية المكدرة لصفو الحياة .

وهل إذا رأت وليدها ، وقد نهكته العلل وتأكلت لحمه الأسقام ، ثم تراءت فى المرآة فأذا بها تجد نفسها شديدة القوى نضيرة الجسم ، أفلا تحس الضمير مؤنباً لها على حرمانها وليدها الصحة والقوة اللتين لا تجتمعان إلا لمن ارتضع لبن أمه لا لبن تلك الأم المستعارة !

إن إعراض الأم عن أداء واجب الرضاعة سواء

أكان سببه التهاون والكسل أم الميل إلى صيانة المحاسن من عادية الاندثار أم غير ذلك ، جريمة أقل عقوبة لها الحرمان من لذة الأرضاع التي لو قدرتها قدرها أو ذاقتها مرة لضحت في سبيلها صنوف الملاذ كافة . وهل بعد لذة الأرضاع من لذة في الحياة ، بل هل في مناظر الكون أجل وأجمل من منظر الأم ترأم وليدها وتحنو عليه لتمكينه من استدرار لبنها الطاهر العذب السلسبيل !

العناية بالطفل

تتناول هذه العناية ، بعد التغذية ، إحاطته بألف وسيلة من وسائل الوقاية والتعهد .

وبعض الأمهات يرين في العناية بالطفل وتعهد شؤونه أمراً هيناً ليناً ، لجهلهن بتلك الوسائل وقلة خبرتهن بضروب التربية وشروطها . لهذا لا نرى بأساً من إيراد بعضها هنا في قالب نصائح نزجيها إلى الأمهات الجاهلات .

ينبغي تعهد بدن الطفل بالنظافة وإلباسه الثياب

الظاهرة من كل لوث واتخاذها من القماش الأبيض الذى ثبت فى العلم أنه أوفق ما يكون لجسم الطفل ، فضلا عن أنه ينم على مواقع الدنس والقذر فيسرع إلى تطهيرها منهما. والطفل إذا نظف وطابت رائحته (من غير عطر) ، استمال أبويه إلى محبته أكثر مما لو كان قذراً تتصاعد منه الأرواح الخبيثة .

ينبغى توفير أسباب السكون والهدوء حوله ، كيلا تهيج أعصابه . فمن الضارّ به مساهاته بالصياح والضجيج أو بما يستفزّه للانفعالات النفسية . وحذار من توثيبه أو ترقيصه أو نفضه أو إمالته إلى الأمام أو الخلف أو ذات اليمين أو ذات اليسار ، كما يفعل بعض الأهل والأقارب والخدم . لأن هذه الحركات تلحق بالمخ ضرراً يتعذر فى المستقبل إصلاحه . ثم لا يجوز ، وهو فى السنة الأولى من عمره ، تحريكه فى أرجوحة أو مركبة ما ، لأن السكون لازم له وهو ينافى الاضطراب الناشىء عن هذه الحركات والحذر كل الحذر من « زغزغته »

وهذه التحاذير لا تفيد وجوب تقييد حركاته الجسمية.

فلا يصح حبس يديه ورجليه فى تلك الأربطة المعروفة بالقماط ؛ لأن ضررها أضعاف ما يتوهمه العامة من نفعها ولا بأس من إحاطته بالصور الجميلة والمناظر الظريفة ، بحيث يقع نظره ، كلما التفت ، على شيء منها فتتربى فيه ملكة الجمال والتمييز بينه وبين القبح . دع أن مشاهدة المناظر والصور الجميلة تجعله دائما فى هشاشة وارتياح

وإذا كان المنوط بخدمته ذا صوت رخيم ، فليسمعه بعض الأناشيد الجميلة فتألف أذنه سماع الانغام المطربة . وربما كان هذا فى المستقبل من بواعث ميله الى الموسيقى فيأخذ منها قسطه بأيسر طريقة .

وإذا خرج به للرياضة ، فليكن إلى مكان تبدو السماء فيه صافية الأديم وتحف به الاشجار الباسقة ذات الأغصان النضرة والرياحين الجميلة . ولو سار القائمون بتربية الأطفال على هذا النمط لبهرتهم سرعة نمو أجسامهم وظهور علامات الصحة والنجابة فيهم .

*

من المهد

إذا لمحت الأم فى ولدها بوارق الفهم والإدراك ، فلا تقتصر على تقبيله للأفصاح عما يكنه له فؤادها من الحنان والحب . بل يجب أن تخاطبه باللفظ الطليّ والصوت العذب ، ليطمئن الى ذراعيها ويأنس بها .

وإذا أرقدته فى مهده فلم ينم رغم الأناشيد والأغانى ، فلا بأس من مداعبته بتحريك كرة حمراء معلقة بأعلا المهد . فأنها لا تلبث أن تراه يتابع حركاتها بعينيه البراقتين ، ولا تزال به كذلك حتى ينام .

وإذا ترعرع قليلا بحيث يستطيع التدحرج فوق البساط ، فلا تجعل فى متناول يده لعبة إلا إذا كانت من المطاط المرونته ولأن مادته لا خطر فيها كمادة اللعبات الصلبة .

وإذا كانت اللعبة كرة ، وقد دفعها الى بعيد بحيث يتعذر عليه إدراكها ، فواجب الأم المبادرة بأعادتها اليه . لأنها إذا توانت فى ذلك بكى ، لا لتعذر حصوله عليها فقط بل

لشعوره بالعجز عن الحركة لأخذها

ومتى قدر على تناول الأشياء بنفسه ، وكان منها ما يخشى منه الضرر كالمقراض أو المدية ، فليتلطف فى استلاله من يده . فأذا مانع متململا فلينبه بصوت الجدّ إلى أن والديه لن يرضيهما أن يعبث بهذه الأشياء .

ومن عادة الطفل، مهما صغرت سنه، أن يدرك معنى النهي ، إذا وضع له فى قالب الجدّ وأن يعمل به . وحسب الأم أن تسير فى نواهيها على هذا الدرب كي تصل سراعاً إلى الغاية المنشودة من التربية الأولية .

ولتعلم أنها ، وقد أمّت ، أصبحت مسئولة عن ابنائها أمام الله وأمام الاجتماع البشريّ كله . ومما تفرضه عليها مسئوليتها مواصلة اليقظة والالتفات لترتقب ظهور إدراكه وتطوره ، كما يرتقب البستانيّ تفتق أكمام الزهر فى إبانه ، وكما أن البستانيّ يتعهد الأزاهير بما ينميها ويزيدها بهاء ورونقا ، يجب عليها أن تعهد ذلك الأدراك بما يزيده نموًّا وسعة ، طوراً بعد طور . ومثل هذا الواجب لن يصدها عن النهوض به خوف العجز أو توقع الفشل ، فأن فى

صميم فؤادها من آيات الحب لابنها ومن صدق الرغبة في العمل لخير مستقبله ما تقوى به على تذليل ما يعترضها من المصاعب والمشاق فى طريقها .

أسلوب التربية

مما يعوق نجاح التربية الأولية أنهـا لا ترجع فى الغالب إلى أسلوب ثابت ولا ترسو على قاعدة مستقرة . فإن الوالدين يعتمدون فيهـا على ما تسوقه المصادفة من الحوادث ، كأن يزلّ الطفل فى هفوة فلا يلبث أن تنهال عليه منهم عبارات التعنيف يخالطها ألفاظ الشتم والسباب ، وإن يكن في زلته غير مالك لأرادته ولا متصرف في أمره . ومما يضاعف ضرر هذه الخطة أن يرى الطفل غيره من اخوته أو ذوى قرابته يجنى الذنب الكبير فلا يوجه اليه من عبارات الزجر إلا ما دخل منها عداد العتب اللطيف لا التعنيف المقذع ، والملاحظة البسيطة لا الانتقاد المرّ .

إن الطفل إذا استشعر بمثل هذا التفاوت فى المعاملة

انحرف عامداً عن جادة الاعتدال فى تصرفاته ، كما يؤيده قول أحد أساطين التعليم فى هذا الموضوع : «كان تلميذ لى إذا أخذته سورة الغضب ، انقضّ على أقرانه وأساتيذه وأهله ضارباً بيديه أو عاضاً أو قاذفا إياهم بالأحجار أو طاعنا بالمدية . وحدث ذات يوم أن تملكه الغضب فى حضرتى فهمّ بالاعتداء عليّ فلم أجزع منه ، بل أخذت بيديه في رفق وتلطف وأنشأت أواسيه وألاطفه حتى سكنت ثائرته وهدأت فورته . عندئذ أخذت أعتذر له عند رفقته عن تصرفه معهم بأن به مرضاً هو الباعث له على سوء فعله ووصيتهم أن يجانبوه ويتحولوا عنه ، كلما لاحت لهم بوادر مرضه . ثم خلوت به وأخذت أصوّر له شناعة فعله فى شكل لم يلبث أن استبشعه ، مرشداً إياه بالحسنى والمعروف إلى وسائل الاصلاح من خلقه . وما زلت به أزجى اليه النصح حتى تغيرت أحواله وتبدلت أطواره . فكان إذا سمع اللوم أو الملاحظة تلقاهما هادىء البال ساكن الجأش ما لكا قياد العوامل النفسية ، فلا يستشيط غيظاً ولا تبدر منه بادرة سوء . وما انقضى زمن راض

فيه نفسه على هذا الخلق الكريم ، حتى أصبح مثالا لرفقته في دماثة الأخلاق والفهم والاجتهاد »

فلو أن هـذا الغلام عومل بالشدة من استاذه ولم يؤخذ باللين والمعروف ، بل عوقب بالتأنيب والاقذاع تارة وبالضرب والتعذيب تارة أخرى ، لكي يقلع عما اعتاده من تلك الخسائس السمجة ، لما أفادته تلك المعاملة الخشنة إلا السدور في غوايته والاصرار على باطله . وإذا أفاد النصح المبنيّ على اللين والرفق ، فما هو إلا لأن الطفل محتاج إلى الاستشعار بحب والديه له وميلهما اليه وعطفهما عليه . فأذا سدت هـذه الحاجة ، واستقر في خلده أنهم يحبونه ، لقى مؤاخذتهم إياه على ذنبه بالقبول والرضى ، وعاهدهم على الاقلاع عنه . ومثله من إذا وعد عاجل بالوفاء .

وينبغي مع ما تقدم ألا يخالط محبة الوالدين لأبنائهم ضعف العزيمة من جانبهم . لأنهم متى أيقنوا أن محبتهم لهم مستمدة من الحنان المطلق الذي يلازمه الضعف والترخص في كل شيء ، اتخذوا هذه النقيصة مطية لأهوائهم الشريرة وذريعة لقضاء رغائبهم الباطلة .

مجاراة الطباع

قلنا فيما تقدم أنه لا مندوحة عن أسلوب ثابت وطريقة مستقرة قويمة للتربية . ولسنا بالأسلوب نرمي إلى وجوب معاملة الأطفال على وتيرة واحدة ومثال يمتثل عليه ، بل نقصد أن يكون ثمّ أسلوب لكل طفل أو طائفة من الأطفال المتشاكلين فى الطباع والأمزجة والأخلاق ، مع الاحتفاظ بالقواعد العامة المرسومة لتطبيقها عليهم جميعا .

إن من النادر أن تجد فى الأسرة الواحدة طفلين يتشابهان فى الأخلاق والأطوار . إذ بينا ترى أحدهما لين العريكة سلس القياد شديد الحياء ، تلفي الآخر جافي الطبع جسورا متمردا . فهذان الطفلان لا تصح معاملتهما في التربية والتهذيب على منوال واحد .

نعم ، لا مناص من المساواة بينهما فى المحبة والعطف ومن عدم إيثار أحدهما على الآخر لأجل ما هنالك من

التباين بينهما فى النزعات والأخلاق . وإنما يجب فى تربيتهما وتهذيبهما مجاراة كل منهما فيما يبدو من نزعاته ويظهر من أخلاقه . وتستدعي هذه المجاراة التذرع بحسن السياسة ولطف الحيلة ، فمن كانت شيمته منهما الضعف وسرعة الانقياد كوفحت هاتان الخصلتان فيه بتدبير خاص يناقض ما يتفق مع فطرة الآخر من علاج يلطف فى نفسه طبيعة الاستبداد والتهور والجفوة .

غير أن تباين العلاجين لا ينافى وجود علاج ثالث يتفق مع مزاجي الاثنين ، ألا وهو العتب في لين ورفق يعزز جانبهما الثبات والحزم . أما الشدة فى اللوم والاقذاع فقلما تأتى بالنتيجة المرومة إذا عومل أحد الطفلين بمقتضاها على مسمع من الآخر .

والواجب أن يجرى العتب والتحذير دائماً بعيداً عن الشهود .

إن الثور لا يسكن ثائرته أن تأخذه بقرنيه ، وكذا لا يفيد فى كبح جماح الطفل المتهور فى غضبه أن تأخذه بما يشبه هذه الوسيلة . لأن ثورة الطفل كالنار المتلظية ،

يتعذر إخمادها ، وإن أفادت بحرارتها وضوئها .

والطفل الكثير الحركة السريع الانفعال أولى بدوام التعهد والعناية والأخذ بيده نحو الغايات الشريفة والمقاصد المرموقة ، بل نحو المثل الأعلى الذى ينفع، متى بلغ اليه ، نفسه وأهله ووطنه ويكون بسببه من أرباب الفضل المشار اليهم بالبنان .

قسوة الوالدين

جفاء الطبع وقسوة القلب في الابناء ميراث يتلقونه عن الآباء والجدود . أقرّ هذه الحقيقة العلماء والحكماء ، فليست هى فى متناول التجريح والتشكيك . وإذا فظت نفس الابن وجفَت طباعه بما يكون قد عاناه فى صغره من قسوة والديه وجفاء طبعهما ، فلا عجب إذا انبرى بحكم هذه التنشئة لمعاملة غيره بمثل ما عومل به . ومن أين للمرء إذا ضرب فى خشنة الأخلاق وجفاء الطبع بالسهم الأوفى أن يكون رحيما بالضعفاء لين الجانب مع الأغيار ؟

وكثيراً ما ترى بعض الوالدين ، إذا سقط أبناؤهم في هفوة أو بدرت منهم بادرة سوء ، تقسو عليهم قلوبهم فينهالون عليهم بالضرب المبرّح وينالون منهم أسوأ نيل . وفي هذا من الضرر ما يحسن بالوالدين تقدير عواقبه التي من أقلها أن يضمر الابناء لهم الغلّ ويكاتموهم العداوة . فأن الأطفال قلما ينسون الاساءة ، لاسيما إذا امحت من صفحات قلوبهم آيات الحب لوالديهم على أثر ما يظهره هؤلاء لهم من القسوة في معاملتهم .

حدث مرة أن طفلا خلب والدته في وجهها غير قاصد ولا متعمد ، فتناولت على الفور هراوة كبيرة وحطمتها على ظهره ضربا مبرحاً ، فناله من جرّاء ذلك أذًى كبير ألزمه الفراش زمناً طويلا . ومن شأن هذه المعاملة الجائرة أن تستلّ من قلوب الابناء عواطف الرحمة فلا يلبثون ، متى كبروا واشتدت سواعدهم ، أن يصير البغي والعدوان ديدنا لهم .

ولقد كان والد يعاقب أبناءه على هفواتهم بحرمانهم تقبيل يده عند النوم واليقظة كعادتهم التي شبوا عليها ،

فتسخر منه صحبه ومعارفه . وهم مخطئون بلا ريب . لأن العقوبة بمثل هذا الحرمان ، إذا جاءت بالغرض المطلوب ، أفضل من عقوبة الأذلال والأهانة بالضرب والاقذاع . على أن توخي طريق الشدة والقسوة فى تربية الأبناء مظهر من مظاهر الغضب يقصد به صاحبه إلى شفاء الغليل وإرضاء النفس ، لا إلى التأديب والتهذيب .

فحريّ إذاً بالوالدين اجتناب البطش فى تربية الابناء وليعلموا أن الكائن البشرى الذى كانوا وسيلة لأيجاده من العدم ، لمن ضعف القوى وانحلال العرى بحيث ينبغي ولا يعالج بغير الرفق واللطف والمداراة .

وقد أودعت الفطرة قلوب الوالدين الحب الشديد لأبنائهم ليكون مصدراً غريزياً للعناية المتواصلة بشؤونهم التى من أهمها إرشادهم فى سبيل الحياة والحيد بهم عن مزالق الشرور والأغلاط ، لا سيما فى الدور الأول من أدوار حياتهم .

وإذا حدث أن زلت قدم أحدهم فى تلك المعاثر فسقط ، فلا يعتبرنّ والداه أن هذا ذنب يجب أخذه بجريرته ، بل

ينبغي تحذيره منه بالقول الطيب والنصح اللين ، وإلا أفضت الشدة بهم إلى العجز فى المستقبل عن بث فضيلة الاستقامة وحب الخير في نفسه .

الأوهام الفاسدة

أودع الله الطفل استعداداً للادراك مظهره التصور والاستنتاج . فالأم مطالبة بتنمية هذه الوديعة وصونها من عادية الأوهام الفاسدة والخرافات الباطلة .

والسبيل إلى هذه الغاية ، التدرج بالطفل في تعويده صحة تصور الأشياء على حقيقتها والحكم عليها حكما صائبا بقدر الامكان . فاذا لعب مثلا فاصطدم بكرسي أو منضدة أو أثاث ما اصطداما أورثه بعض الألم فى جسمه فلا تسارع الأم ، اقتداء بالامهات الجاهلات ، إلى مواساته وتطييب خاطره بأسناد الأذى الذى أصابه إلى الكرسي أو المنضدة وتصويرهما له فى صورة المعتدى الذى ديدنه الاضرار بالناس ، ثم تؤلم يدها بضربه عقابا له وزجراً ، فأنها بفعلها

هذا تفسد تصوّره بحملها إياه على الاعتقاد بأن للكرسي مشيئة يستعين بها على إلحاق الضرر والأذى بالناس وتجعل حكمه على الأشياء مجرداً من الصواب .

والذى يطلب من الأم ، إزاء ذلك الحادث وأشباهه أن تنبه ابنها بلطف ورفق إلى أنه هو الذى لم يضبط حركته فكان السبب فى ما لحق به من أذى الاصطدام ، وأنه لو كان حريصاً على نفسه وقابضا زمام حركاته لما لحقه الضرر الذى آلمه . وأول مزايا هذه الطريقة أن الأم لا تولد فى نفس ابنها الشعور بالحاجة إلى الانتقام مما لا عقل له ولا مشيئة في جلب النفع والضرر أو دفعها . وحسن أثر هذه العناية غير منكور فى مستقبل الطفل ، إذا شب وتقلب فى أطوار الرجال .

الزجر بالارهاب

من الغلط الذى لا مبرّر له ، بل من الجبن الشائن ، الاعتماد فى زجر الأطفال على الاخافة والارهاب . ترى

الأم مثلا ، في دخول ولدها حجرة لا شأن له فيها ضرراً قد لا يتعدى قلقها مما يحتمل أن تأتيه بها من العبث ، فلكي تحرم عليه دخولها تلقى فى وهمه أنها مسكونة بغول يغتال من يجرأ على فتح بابها ، لا سيما إذا كان من الصبية الصغار ، أو بالسماويّ الذى يختطف الا ولاد ويلقيهم فى غيابة الجبّ ، حيث يجب أن يقطعوا الأمل من لقاء والديهم وأن يأكلوا الردىء من الخبز من غير أدم ويحرموا الحلوى وكل طعام شهيّ الخ الأباطيل والترهات التى تبث الفزع فى قلب الطفل وتفتح لأدراكه أبواب الخيالات والأوهام ، فلا يلبث أن يصبح جباناً يخشى كل شيء ، حتى ظله الذى يتبعه .

وهذه الحيلة الشائعة بين الوالدين فى إلزام أبنائهم ملازمة الطاعة ، لأفضل منها المعاملة بالشدة والاكراه . ذلك لأن ضرر القسوة والقسر لا يتعدى الجسم ، بينا ضرر التحيل بالأوهام والأباطيل يتناول البدن والعقل معاً .

ولا مراء فى أن الوالدين الذين يزجرون أبناءهم بالأرهاب على النحو المتقدم ، يسيرون على نقيض الخطة

الواجب اتباعها فى تربيتهم، إذ يبثون الجبن فى نفوسهم بينا قواعد التربية تلزمهم بتعويدهم احتقار هـذه الرذيلة المنافية للفضائل النافعة فى معترك الحياة .

وللوالدين فى كل حركة من حركات الطفل وقول من أقواله، فرصة ملائمة لبث شيء من روح الشجاعة فى قلبه . فأذا أبى السير فى دهليز مظلم، مثلا، فليسر والده أو أمه معه ولينبهه كلاهما بعد الوصول إلى غايته على أن السير فيه لا يخشى منه خطر ولا يدعو البتة إلى خوف . وإذا رأى ثوبا منشوراً فى الليل فخيل له أنه شبح نفس شريرة تتربص به الأذى، فليذهبا به اليه وليفتشاه على مرأى منه وليدعاه يفتشه بيده ليستبين بنفسه خطأ حكمه . وإذا سمع فى الليل صراخ بوم فارتعد منه فرقاً فليهدئا جأشه، حتى إذا سكن واطمأن شرحا له حقيقة هذا الطائر . وبمثل هذا الارشاد، ينتهى الأمر به إلى اطراح الخوف جانبا فلا يتطرق الجبن والخور إلى قلبه .

ومتى استقر فى خلده أن المخاوف التى كانت تنتابه إنما هى أوهام باطلة وخيالات لا حظ لها من الوجود،

تمليت على مسامعه تواريخ الأبطال السابقين الذين جمعوا إلى البسالة والاقدام همة النفس والطموح إلى المعالى . فأنه لا يبلغ مبلغ الرجال إلا وقد استعد للقيام بجلائل الأعمال .

طاعة الابناء

بدهي أن طاعة الولد والديه فرض محتوم عليه ما دام أنه يقتدى بهما ويتخذهما له إماماً فى مسالك الحياة . ولكن حذار من الاعتماد على القوة والاكراه فى مطالبته بهذه الطاعة ، ولو كان طفلا صغيراً لا يميز بين الخبيث والطيب ، وإلا كان عملهما معه استبداداً يقصدان به إلى الاستعباد والتحكم لا إلى التربية والتهذيب .

إن للوالدين على الابناء إلزامهم القيام بواجباتهم إلزاما أساسه الحسنى والمعروف ، كى تتربى فيهم ملكة احترام الذات واحلالها من الكرامة المحل اللائق بها . وليتجنبوا فى معاملتهم إياهم ما اعتاده سواد الوالدين من مكافأة أبنائهم بالمال على ما يقدمونه اليهم من فروض الطاعة .

لأن المساومة على الطاعة الواجبة وجوب تحتيم من أردأ الأساليب المؤدية إلى أوخم العواقب وأسوأها . فأن الوالد لا يلبث أن يرى أبواب المطامع الكاذبة وقد تفتحت أمامه على مصاريعها ، وكثيراً ما تؤدى إلى الغضب وعدم الرضى من جانب البنين ، حتى عن الكواكب مستنزلة من أفلاكها .

وفى مقدور الوالدين استمالة الولد إلى طاعتهما بأيسر الطرق وأشرفها . ذلك أن توضح له الأم مثلا ، بعبارة يتناولها فهمه القاصر ، أن حب الوالدين يستدعى الطاعة لهما . ثم تضرب له المثل بوالده قائلة إنه يستيقظ مبكراً ، عملا بسنة الحياة القاضية بالكد لكسب ما يقيت به أبناءه الصغار الذين هو أحدهم ، وأنه لولا طاعته لهذه السنة لماتوا جميعاً من الجوع . أو بذلوا ماء وجوههم بمد يد السؤال إلى الناس .

ولا محيص عن انتهاج هذه المحجة ، أول وهلة ، دون إرجاء إلى حيث يتعذر تقويم المعوج وإصلاح الفاسد . وإذا رأت الأم وليدها قد عمد إلى شيء من متاع البيت

وأدواته التي يخشى عليها العطب من عبث يديه، فليس بعسير عليها أن تقول له « لا تلمس هذا » . ويجب عليها في هذه الحالة أن تردف هذا النهي بابتسامة يفترّ بها ثغرها . فأذا عصا الغلام أمرها استأنفت النهي بشدة يخالطها الرفق قائلة : « أنا لا أريد أن تلمس هذا »، ثم تستخلص الشيء من يده فأذا بكى تركته وشأنه حتى يثوب من نفسه إلى الهدوء والسكينة .

والطفل يعتاد ، بتكرار هذه النواهي على سمعه ، الطاعة فيما يعود عليه بالخير ويشب على الخصال التي لا تلبث أن تجمل من شيمته احترامه للعدل وتوقيره للحق

ويجب تشديد المراقبة عليه حتى لا ينحدر في تيار الغرور بنفسه والتمسك برأيه . فأذا عثا في البيت مفسداً ، كأن يحدث به ضجة أو يطلق العنان لنفسه راكضاً ، نبه بلطف إلى أن الضجيج يسلب والده راحة هو في أشد الحاجة اليها ، ويجلب الصداع لجدّته ، إلى غير ذلك مما يفضي تأثيره إلى الحرص على هناء الغير .

ومما ينبغي تحلية الطفل به ، منذ نعومة الأظفار ، من

الفضائل وجميل العادات ، ألا يقطع على الناس حديثهم سؤالا عن شيء أو ملاحظة على شيء . فاذا عودته والدته ذلك ، كلما سنحت لها الفرصة ، فأن البيت يظل فى سكون وهناء ، ويشب ابناؤها على المبادىء التى ترفع مكانتهم وتعلى شأنهم فى المجتمع الانسانى .

نقيصة الشراهة

من النقائص التى يحتم على الوالدين العمل لمكافحتها فى أبنائهم الشراهة . فأن هذه النقيصة تسفل بصاحبها إلى الحضيض ، وهي شر عنوان له . ومنشؤها فى الغالب وعد الوالدين ولدهما بأنواع الحلوى وصنوف الأطعمة الشهية جزاء طاعته وامتثاله ، أو حرمانه إياها عقوبة له على المخالفة والعصيان ، فى حين أن الجزاء والعقاب لا يكونان بالأطعمة التى يجب ألا يرى الولد فيها إلا الوسيلة الطبيعية لدفع شرة الجوع ، وإنما بغيرهما من وسائل الترغيب والترهيب المعروفة .

وخليق بهما تعويده الطعام البسيط والاكتفاء منه بالقليل ، كيلا يصبح عداد من يتحرون المآدب ويضربون الأرض فى طلبها ، فيدخل في تلك الطغمة الممقوتة المعروفة بالطفيليين والضيافنة .

ولِبَثّ كراهة المآدب التى تعرض فيها عشرات الألوان من الأطعمة فى نفسه ، ينبغى ألا يؤتى أمامه بسيرة المآدب ووصف الولائم وسرد ما تحتويه من شهيّ الطعام ولذيذ الحلوى وصنوف الفطائر وغيرها مما لم يعتد رؤيته ، ولا تناوله ضمن غذائه اليومى ، وإلاّ سال لعابه شوقا اليها .

ولسنا ، مع هذا ، نطالب بحرمان الأطفال شهيّ الطعام . وإنما نريد من آبائهم وأمهاتهم ألا يصوروا لهم ألوانه وصنوفه فى مثال الشيء الذى إذا حصلوا عليه كانوا كمن حصل على السعادة بحذافيرها وقبضوا على الهناء من ناصيته .

ومن أيسر الوسائل لمحاربة الشراهة فى الطفل ، إذا شبّ على هذه العادة الطيبة تعويده منذ الصغر غضّ

الطرف عما فى أيدى الناس . فأنه إذا أعرض عما يقدم اليه من الطعام خارج بيت والديه ، جبل على فضيلة القناعة وسهل له ضبط النفس وكبح جماح مطالبها الكثيرة .

التصنع والكذب

التصنع والكذب نقيصتان تلزمان الطفل متى استطاع إدراك ما يحيط به من المرئيات . فانه إذا أنس الأعضاء عن مساوئه ، لفت نظرك اليه بالصياح أو البكاء مع أنه لا يشعر بشىء من الألم .

وهذه المظاهر لا ضرر فيها بذاتها . لأنها النداء الوحيد الذى يستطيع ذلك الكائن الضعيف به استمالتك اليه وتوجيه نظرك نحوه . ولكن لا يفوتنك أنه كلما شب وترعرع اتسع المجال أمامه للحيلة فتفنن فى التصنع والكذب واستنباط الحيل .

تراه إذا عنّ له أمر ، لا يجد أدعى إلى تحقيق مأربه فيه من البكاء والتوجع . فتسارع والدته اليه وتغمر بالقبل

وجنتيه ولا تدع وسيلة إلا وتذرعت بها لارضائه .

على أنه مما يجب في مثل هذا الأوان ، التيقظ ومضاعفة الالتفات . لأنه إذا تظاهر بالألم وأكثر من البكاء والعويل ، فما ذلك إلا لطمعه فى تحقيق ذلك المأرب أو استثارة الحنان الوالدى للخلاص من عقوبة كان يخشى وقوعها عليه .

قال أحد المشتغلين بتربية الأطفال : « كثيراً ما شهدت الطفل يسقط من مرتفع ، أو تزل قدمه فى معثر ، فينهض واقفاً لا يشكو ألماً ، وربما قضى ردحاً من الزمن فى اللعب . فاذا عاد إلى أبويه أمعن فى البكاء والنحيب ، إما طمعاً فى شىء من الحلوى يتسلى به عن مصابه أو اتقاء للعقوبة أو اللوم ، لأنه فى سقوطه على الأرض كان قد اتسخت ثيابه »

وقال : « شهدت أطفالا آخرين يقع لهم من الحوادث مايوجب توجعهم ، ولكنهم طالما لم يشهدهم أحد لا يبكون ولا يشكون . فاذا رأوا أحداً أكثروا من البكاء والعويل »

وسبب هذا الاختلاف راجع إلى ما أنسوه من إغضاء أهلهم على ما يقعون فيه من الهفوات ، ومداراتهم إياهم بأنواع الترضى ليسكتوا عن البكاء . ولا يخفي ما ينجم عن اعتياد الطفل هـذه الحيل من تطرق رذيلة الرياء والنفاق إلى طبعه .

وجدير بالوالدين ، إذا بلغ الطفل إلى الرابعة من العمر أن يوقنوا بأنه أصبح فى هذه السن أهلا للشعور بالصدق والكذب شعور من بلغ الأربعين . فهو ، إذا كذب ، كبرت معه رذيلة الكذب بنسبة تقدمه في العمر . لذا كان حريًا بالوالدين محاربة هذه الرذيلة متى ظهرت بوادرها ، بتمثيل الكذب لناظره فى أفظع شكل وحمله على الاعتقاد بأنه إذا كذب فقد خسر احترام الناس له خسارة لا تعوض إلا باتباع الصدق فى جميع الاحوال .

*

كبرياء الطفل

ليس من الحكمة في تربية الطفل إكثار الكلام عن شخصه ، بمسمع منه . لأن سماعه التنويه بذكره والأطراء في مدح ذاته يدعوه إلى انتحال ما ليس فيه من الأهمية والخطر .

فمن الواجب إذاً الأمساك عن ذكر ماله مساس بأوصافه الجسمية حسناً أو قبحاً ، أو الأدبية فضيلة أو رذيلة . فلا يبالغ فى حدة ذكائه أو شدة غباوته . وكل ما يجوز للطفل أن يعرفه من شعور والديه نحوه ، أنهما يحبانه ويسهران على مصلحته ، لا أنهما يريان فيه أجمل الاطفال وأذكاهم أو أقبحهم وأغباهم أو أنه فخر لهما وذخر أو عار عليهما وشنار .

ولمعترض أن يقول : لا بد فى تربية الطفل من تشجيع أو مؤاخذة ، وهو صواب لا ريب فيه . غير أن الذى نلاحظ عليه ، إنما هو سلوك الوالدين فى إدراك هذه

الغاية طريقا غير المألوف . فأذا كان الولد دميم الخلقة أو لم تنفحه الفطرة ببعض المواهب ، أنحيا عليه باللوم والتعنيف كأنما هو الذي خلق نفسه بيده على مثال القبح والدمامة ، وكأنما هو الذي بخل عليها بالصفات الفاضلة ، بينا يجب عليهما أن يحلياه بما ضنت الطبيعة به عليه من هذه الصفات

ويتفق كثيراً أن يشتغل الطفل ويجد « ويكسر دماغه » كما يقال فى تفهم دروسه ، ثم لا يدرك الشهادة الناطقة باجتهاده وفهمه ، فيمطره والداه وابلا من الذم والشتم . وهى خطة نحذرهما من عاقبة الانحدار فيها . فأنه لا ذنب على ولدهما إذا لم يوفق لنيل الشهادة مع ما رأياه من اجتهاده ، كما لا فائدة من تحقيره واسقاط منزلته . وإذا كان فشله نتيجة قصور أو تقصير ، فأنما عليهما تعود مسئوليته . لأنهما لم يتعهداه بالمراقبة ولم يتبينا مواقع الضعف فيه ، ولم يلحظا الغاية التى يجنح اليها باستعداده الفطرى ليشجعاه على جعلها مرمى اجتهاده .

أما إذا وفق لنيلها فالأجدر بهما ألا يجهرا له بسرورهما منه ولا يفتخرا به . بل يقتصران على تهنئته فى عبارة

قصيرة باجتهاده والتفاته ، ثم يحثانه على المثابرة فيهما مبينين ما سيعترض له في طريقه من الصعوبات والمزالق ، وأنها أعظم خطراً وأكثر عددا مما اعترض له منها فتغلب عليه ، وأنه ليس ببالغ أربه إلا بالكدّ والكدح . ثم يضربان له الأمثال بالارض إذا لم تفلح ولم تتعهد بالريّ ، بارت ولم تعد صالحة للزرع ، وبأجزاء الآلة إذا تركت عاطلة علاها الصدأ وفسدت ، إلى غير هذا من الأمثال التى تساق فى عبارة سهلة لبيان فضل العمل ومزايا الجدّ والنشاط .

ولا يصارحن أحدكم ولده ، إذا أحسن أو أساء ، بمدح أو ذم بل يبدى من الأشارة ما يفيدهما . لأن الجهر بهما لاستحسان أو استهجان ينفثان فى نفس الممدوح أو المذموم إما الغرور والخيلاء وإما الضغينة والعداء .

قسوة الطفل

لو أدرك الطفل الذى يعبث بالعصفور أنه بهذا العبث يعذبه أليم العذاب ، لأقلع من فوره عن فعله . لهذا كان

خليقا بالأم ، إذا رأت بيد ولدها عصفوراً أو حيوانا ضعيف الحول ، وقد انتزع منه ريشه أو جناحه أو ربط رجله بخيط فكسرها او فقأ عينيه ، ان توقفه على حقيقة هـذا الحيوان فتفهمه أنه كائن منظم الأعضـاء يتألم بالأذى والتعذيب كما يتألم الا نسان . ثم تسـأله هل لو كان مكان العصفور أيرضى بمثل ما يذيقه إياه من العذاب أو هل يستطيع أن يتحمله ؟ فأنه لا يلبث أن يقنعه منطقها فيقلع عن ذميم فعله . فأذا لم يصغ لقولها وعاد إلى فعله فلتعاقبه بأوعظ العقوبة من اللوم القارص والتعذير الرادع . ثم لا تزال به حتى يرجع عن ذميم عادته .

وهناك أمهات يشهدن أطفالهن وهم يعذبون الحيوانات فلا يزجرنهم ولا تأخذهن فى هذه الكائنات الضعيفة رحمة ، بينما تراهن إذا أتلف أحدهم ما لا قيمة له من المتاع عن غير قصد ، كأن عثر فسقط من يده كوب ماء أو اشتبك ثوبه بمسمار فتمزق ، يوقعن به أنكل العقوبة تأنيباً مقذعاً أو ضرباً موجعاً .

وما أحراهن بالسير ، فى استلال القسوة من نفوس

أبنائهن وإحلال الرحمة محلها ، على منهج آخر كضرب الأمثال والتحدث بمحاسن خصال الذين رضى عنهم أهلوهم من الأطفال .

غيرة الطفل

إذا شب المولود الأول وترعرع ، بعد أن بذلت فى صيانته من طوارىء الحدثان وسائل العناية وصار لوالديه قرة العين وجلدة بين الحاجبين ، فأنه لا يلبث أن يتحول من ضحك إلى بكاء ومن طاعة إلى عناد ، بالرغم من إحاطتهما إياه بصنوف العناية والمساناة .

ولو بحثت عن سبب هذا التحول لوجدته منحصراً فى مجيء مولود جديد قد شاطره الرعاية الوالدية التى اعتقد فيما مضى أنها مقصورة عليه وأنه المقصود وحده بالذات منها .

وهذا الشعور فطريّ لا دافع له ولا واقيّ منه ولكن سواد الوالدين يجهلون سببه ، فتراهم إذا غضب الولد لغير

ما سبب ظاهر أو استكان حزينا واجماً يكثرون من تعنيفه ويذكون نار الغيرة فى قلبه بمثل قولهم : « إن فلانا — المولود الجديد — أفضل منك لأنه أعقل وأطوع فأذا لم تتشبه به أوليناه حبنا دونك » ، فلا يسمع هذه الكلمات حتى يشتد به الحزن واليأس .

وقد تهدد الأم ابنها ، إذا كانت على وشك أن تضع ، بقولها إنه إذا لم يطع أمرها اشترت ابنا آخر يقاسمه العناية به والحب له . فتعمد بهذا الايهام إلى إيقاظ الغيرة النائمة في نفسه وتصور له مجىء غلام جديد ، سوف يشاركه مسرات الحياة الطفلية ، فى صورة القصاص الصارم والعبرة الزاجرة بينما الواجب عليها أن تغرس بذور الحب فى فؤاده للمولود الجديد ، حتى قبل وضعها إياه ، بتفهيمه أنه سيكون متى درج رفيقاً له في ألعابه وأنه يلزمه بناء على ذلك حبه وحمايته ، لأنه أكبر سناً منه . ولا تزال به كذلك حتى إذا تم الوضع جعلت نصب عينيها العناية بأمره ، دفعاً لما قد يعاوده من وَهْم أن المولود الجديد أصبح عندها أولى منه بعنايتها وأثيراً بمحبتها . ويحسن بالوالدة ،

والمولود فى حجرها ، أن تجتذب اليها أخاه الأكبر وتستميل رأسه إلى صدرها حتى يحسّ بخفقان قلبها الذى اعتاد الشعور به منذ ولد ، فيعتقد أنه لا يزال له نصيب من حنانها .

وقد أسلفنا أن الغيرة في الأطفال عاطفة فطرية ، ولكنها كثيراً ما تكون كامنة حتى يستثيرها الوالدون بتفضيلهم إياهم بعضهم على بعض ، فينادون الواحد بصيحات الحنان والآخر بزمجرة الوعيد والتهديد أو يتغاضون عن فعال الأول ولو قبحت وينكرونها على الثانى ولو حسنت ، إلى غير ذلك من مظاهر التفضيل والأيثار .

أولئك الآباء لا يشعرون أن الطفل الذى يعاملونه على هذا الوجه ، ينتقد هـذا الايثار على وجه يتدرج منه إلى الغيرة فالحقد على من يشهد عدم إنصافهم إياه . فهم إذاً المسئولون عن آلامه الناشئة عن إغفالهم العدل فى توزيع حنانهم بالسواء بين الابناء . لأن الاخوة مهما يكن الفرق بينهم ، خلقاً وخلقا ، سواء حيال المحبة الوالدية . والدميم الخلقة منهم أو القليل الذكاء لا يملك القدرة على إتمام نقصه

وإصلاح عيوبه .

وجائز أن تتصل اليه بطريق الوراثة من الجدود نقائصهم الأدبية ، كما تسرى اليهم المشاكلة الجسمية . فكيف يتاح له فى هذه الحالة مغالبة الفطرة فيما قضت عليه به من هذه العدوى ؟

وإذا كان لا بد من ميزة بين الأخوة ، تجاه حنان الوالدين ، فأنما هى لصالح من ضنت الطبيعة عليه منهم بما حبت به الآخرين الذين يجب عليهم ، عندئذ ، أن يدافعوا عن ضعفه ويشفقوا بحاله ويشملوه بعنايتهم ورعايتهم .

وهناك سبب آخر لأيقاظ الغيرة فى قلوب الأخوة وإيجاد التنافس بينهم . وهو أنه من المتعذر ، لتباين طباعهم توجيه اللوم اليهم بعبارة واحدة فأذا ليموا بوجه التعميم ذهب الظن بمن كان ذنبه خفيفاً أو لم يكن له ذنب بالمرة إلى اعتقاد أن منزلته فى الحب من والديه أقل من منزلة الآخرين ، فلا يلبث أن تتولد فى نفسه الغيرة منهم . والوسيلة لمداركة هذا الضرر أن يلام كل منهم على حدة ، بعبارة تتفق مع درجة مسئوليته فيما ارتكبه من الذنب .

وهذه أحسن واسطة لوثوق الروابط الأخوية بينهم على الدوام .

محاسن الجسم وعيوبه

إذا كان ولدك دميم الخلقة ، فلا تذكر أمامه سعة فمه أو غلظ أنفه أو غيرهما من العيوب التى مني بهـا . وإذا كان جميلا فلا تحدث معجباً بصباحة وجهه ودعج عينيه ورشاقة قده ، بل انصحه بتعهد نفسه بوسائل العناية إما لتخفيف تلك العيوب أو صون هذه المواهب .

فالفتاة مثلا يطلب منها المحافظة على بياض وجهها بعد تعرضها لما يشوبه من الكدورة ، أو العمل لأزالة الكلف الذى يشوّهه بما هو مقرر له من الأدوية . ولا نفيض فى الكلام على هذه العنايه بأكثر من أنها تكفى المرأة مؤونة التفكر فى الجمال والقبح ، فلا يتطرق إلى قلبها الغرور أو اليأس .

وإذا كان قوامها ينقصه الاعتدال ، فلا تقل لها : « إن

ظهرك متحدب كظهر العجوز » أو « قفى مستقيمة لأنى أرى لك شيئاً كالقتب » . ثم لا تخاطبها بمظاهر الغضب والعبوسة التى يدعو اليهما تصورك قبحها . ولا تمسكها بعنف من كتفيها ولا تدفع ذقنها بشدة لتجعل قوامها معتدلا . لأن النصائح إذا أعطيت بهذه الشدة والخشونة ، كان وقعها فى النفس سيئاً فلا يؤدى السير فى تأديبها على هذا النمط إلى نتيجة يحسن الوقوف عليها .

والواجب تنبيهها بالرفق إلى اتقاء ما يخشى منه على منظرها ، كأن يقال لها : « ياعزيزتى أنت لا تحسنين الوقوف فلاتغفلى العناية باستقامتك وإلاّ تحدّب ظهرك » ثم يشرع فى تعديل جسمها على الوضع اللائق ، بالحركات المطينة .

ومما لاريب فيه أن الفتاة تتلقى الملحوظات المنسوجة على هذا المثال بالسرور والبشاشة ، لعلمها أن النصيحه التى سمعتها إنما بذلت لمنفعتها . ولو ألقيت عليها بالغلظة لتذمرت ونأت بجانبها ، وكانت النتيجة أن تصير تلك العيوب ، مع تمادى الزمن ، عاهات يعضل شفاؤها حتى منتهى الأجل .

ويكون السبب فيها عدم رعاية اللطف والحسنى فى التنبيه والتحذير .

المثابرة على الدرس

لا يرسل الطفل الى المدرسة الابتدائية قبل السابعة من العمر ، إلاّ إذا كانت من نوع المدارس المعروفة بحدائق الأطفال ، لما فى مطالبته بالأوضاع المرسومة فيها للتلاميذ من الضرر المانع للجسم من السير على سنّة النمو الطبيعيّ .

ولا يظن أنه يفقد ، بتأجيل إدخاله إلى المدرسة الابتدائية حتى يبلغ تلك السن ، شيئاً من العلم أو يقصر عن إدراك شأو أمثاله ولا سيما إذا خصصت والدته ، فى حالة لزومه البيت فى أول سنى حياته ، شطراً من نهارها لتلقينه بعض المبادىء الأولية للعلوم وأطلقت له العنان فى الشطر الآخر، وكانت ممن لا يشغلهن شاغل خارجي عن أداء واجباتهـا الداخلية . فأن الدروس التى تلقيها عليه بهذه الطريقة ، ربما كانت أجدى نفعاً من دروس المدرسة ، لما

يربطه بها من الروابط التى تسهل له الفهم .

أما إذا بلغ السبع ، ثم وضع بأحدى المدارس الابتدائية فقد وجب عليها أن تتلقاه عند عودته منها بما يسر خاطره من صنوف العطف والرعاية وإفساح مجال اللعب واللهو له ، يتخللها الأتحاف ، من آن إلى آخر ، بشىء من الحلوى . فأذا ركض أو وثب أو تلهى باللعب ، ففيما يقوم به من الحركة العضلية إراحة للجسم وقضاء لحاجة النمو الطبيعي . وإذا لم يكن له شقيق أو رفيق يلعب معه ، فليتحر الأب أو الأم فرصة لملاعبته . وليرجعا بالفكر إلى أيام الصبا ليتذكرا ما كان يداخلهما من السرور ، كلما اهتم أهلوهما بدروسهما وألعابهما .

نعم غير منكور ما للأهل من الاهتمام بشؤون أبنائهم ، ولكنهم لا يهتمون بها إلا من بعيد ترفعاً عن مخالطة الصغار . مع أنهم لو تدبروا الأمر لأيقنوا أن فى هذه المخالطة من بواعث التسلية لهم ما لا يقدر بثمن ولا يتوافر بسهولة فى غير هذا الوسط الذى يذكرهم بعهد الصبا وخلو البال من هموم الحياة . والتربية التى تعطى على هذا الأسلوب

أعم فائدة وأصدق أثراً فى النفوس .

والذى يطلب من الوالدين أن يحببا إلى ولدهما الدروس ، بشرط المضيّ معه فى تيار استعداده الفطريّ وعدم التثقيل عليه .

نعم من الواجب الألمام ولو سطحياً بكل شيء . ولكن ينبغى معرفة أى المقاصد يزيد ميل الطفل اليه عليه إلى غيره ، لمساعدته على بلوغه . والحذر من السماح له بانتقاد أساتذته أو التشكى منهم ، حتى يتعود احترام الذين هم أكبر سناً منه . وإنما يسأل عن دروسه ، فأن تكن فوق طاقته رجا والده من المعلم التخفيف عنه من أعبائها الثقيلة .

ولا يدعى الولد إلى مزاولة العمل فى درسه ، إلا بعد أن يقضى فى اللعب ساعة . وليساعده والده أو والدته على تفهمه بالعبارة السهلة والبيان الواضح . فأنه فضلا عن تقدمه ونجاحه يسره اهتمامهما به ، فيزداد بهما شغفا وتعلقا . ومن ثمّ تجرى أعماله كافة على محور النظام ، وتكون المثابرة من خصاله ، وحبذا هذه الخصلة يبلغ الأنسان بها متمناه ويفوز

من العلوم بالقسط الأوفى .

استمرار المراقبة على الطفل

مراقبة الأطفال واجبة ، حتى فى أوقات رياضتهم ، لمعرفة كيف يلعبون وفيم يقضون أوقاتهم ، فتستطيع الأم منعهم من الصياح الشديد المفسد للصوت ومن تعدى بعضهم على بعض ، إذا استفزتهم حرارة اللعب ومن تلاوة الكتب المسدة للأخلاق الخ .

ولا يقتصر فى اجتماعات الصبية على أولاد أسرة واحدة ، بل ينبغي التوسع فيها بحيث تتناول أولاد أسرات مختلفة ، لاستئصال ما يكون فى نفوسهم من الأنانية وإنماء الميل فيها الى الاجتماع والأنس بالناس .

ولا ينسى الوالدان أن فى الأطفال ميلا شديداً إلى استطلاع الحقائق واستقصاء أسرارها ، فهم يسألون عن كل شيء . فأذا سأل أحدهم عن أمر فلا تجاوباه بقولكما « لقد أعييتنا بأسئلتك » ، لأن هذه الاجابة تحزن الطفل

الذى له أن يسأل والديه عن علم ما لايعلم ؛ ولأنه إذا اضطر الى سؤال غير والديه لايأمن الأجابة على سؤاله بما يصعب فهمه أو تسليم العقل بصحته ، وهو مؤكد الفساد والبطلان .

وليعلما أن اجابتهما على أسئلة أبنائهما تمهد لهما فى كل آن مراقبة ما يدور بأخلادهم ويمر من الأفكار بخواطرهم فيقوّمان منه المعوجّ ويصلحان الفاسد ويثقفان عقله بالتصور الصحيح والاستنتاج الصائب .

وليتدرعا بالصبر ، إذا كان فى الأسئلة التافه وغير المفيد . إذ الواجب عليهما الأجابة على كل ما يوجه اليهما من الأسئلة بلا استثناء .

ولمعترض أن يقول : إن التربية على هذا الوجه تستدعى من الوالدين تفرغا يستغرق كل وقتهما . وهو اعتراض في محله ، غير أن سنّة الارتقاء فى الحياة تفرض عليهما الأذعان لهذه الضرورة التى ليس فى واجبات المرأة أثناء أدوار حياتها ، ما هو أشرف ولا أسمى منها . على أنك إذا أمعنت النظر في الحياة اليومية المنزلية ، فلن تجد أبهي

ولا أبهج من منظر التفاف الابناء حول والدتهم يخاطبونها كل فيما يعنّ له من أمر ، وهي تجاوبهم بما يحقق بغيتهم من علم ما يجهلونه .

وما أتعس حظ الأسرة التي تعهد تربية الأطفال فيها إلى الخدم المأجورين . نعم ، إن منهم من يوثق به في أداء هذه المهمة ، ولكنهم نادرة الوقت . وغيرهم ، إذا تولاها نقل اليهم نقائصه وعيوبه من كذب ورياء وسرقة وبذاءة . لأن الامكنة التي يختلف الأطفال اليها من البيت كالمطبخ والاسطبل ، لا ينتظر أن تردد جوانبها غير ألفاظ السباب والبهتان .

ومما يؤاخذ عليه الأهل ، تركهم الأطفال في الطرقات حيث تقع أبصارهم على مناظر الفساد والقبح ، ويحصل الاختلاط بينهم وقرناء السوء بما يسبب لهم الشقاء والعناء . وكفى بالتجارب نذيرا للأهل بأن الطريق العام أردأ مدرسة للطفل ، وأن الآباء والأمهات ليقترفون إثماً كبيراً إذا لم يطالبوا أبناءهم بالأوبة إلى منازلهم بعد مغادرة المدرسة . وعليهم أن يهيئوا فيها الأسباب الجاذبة لهم على

ملازمتها ، كيلا ينتحلوا لتسويغ التخلف عنها ما اعتادوا انتحاله من الأعذار والعلل ، إذا لم تتوافر تلك الأسباب .

النظافة وحسن البزة

ينبغي تعويد الطفل ، منذ الصغر ، البروز في مظهر حسن من النظافة والعناية بترتيب الثياب . لأن النظافة وجمال الزيّ يستدعيان احترام الناس وإجلالهم لصاحبهما . ولكن الطفل إذا استفزته حرارة اللعب ، قلما يحفظ زيّه الجميل أو يصون ثيابه من الاتساخ . ففي هذه الحالة يحترز من الانحاء عليه بالتوبيخ أو العقاب البدنيّ اللذين يلجأ خطأ اليهما الكثير من الوالدين .

والأفضل ، إذا كان الابن طفلا صغيراً ، أن يلبس من الثياب ما جمع إلى السذاجة والمتوع القابلية للغسل كلما اتسخ . لأنه إذا ألبس الثياب الفاخرة وطلب منه الامتناع عن اللعب صوناً لها من التلف ، تعطلت فيه حركة النمو الذي لا يتوافر إلا بالركض واللعب .

ولتتحاش الأم ، إظهار الغضب عليه ، إذا اضطرت إلى تغيير ثيابه أو ترميمها أو تنظيفها بل ينبغي أن تقابل هذه المتاعب بالصبر ، حتى إذا شب الطفل وترعرع ونما إدراكه فبدأ يفقه الأسباب والمسببات ، أنشأت تفهمه الواجب عليه من صون الثياب مبينة له ما ينجم من الخسارة ، إذا لم تعد صالحة للاستعمال . تقول له هذا بصوت يمازجه الرفق فلا يلبث أن يصل إلى أعماق قلبه فيجعل همه ، منذ هذا الوقت ، أن يوفر على والدته عناء إصلاح الملابس وتنظيفها وعلى والده إنفاق المال ضياعاً .

على أنه قد لا يسلم ، مع هذا الحذر ، من الوقوع فى الخطأ مرة أو مرارا . فإذا لوحظ عليه فى ذلك ، فلتكن الملاحظة مفرغة في قالب التلطف والترفق . فأنه لا بد مصلح من أمره شيئاً فشيئاً على ما يرضى الوالدين .

ومما يجب تنبيه الطفل اليه ، أن قذارة الجسم والثياب تحط من قدره وتدعو إلى الاشمئزاز منه والانفضاض من حوله ، وأن النظافة وحسن الترتيب يرفعان من شأنه ويحببان الناس فيه . فخليق بالوالدين إذاً أن يطلبا منه ،

إذا خلع ثيابه ، تعليقها بالمشجب (الشماعة) الخاص بها أو طيّها طيّا منظما رفيقا ووضعها فى المكان المناسب لحفظها . وهـذا وذاك بعد تنظيفها بالفرجون (الفرشة) وتثبيت أزرارها التى تريد السقوط وترتيق فتوقها . وفى تعويده هذه الأعمال الصغيرة ما يرفع عنه كلفة الحيرة ، إذا لم يجد أمامه والدته أو أخته أو خادمه .

ويليق في اعتقاده أن المرء ، مهما منح من مواهب الجسم ، لا يتم له حسن الزيّ وجمال الهندام إذا كان فى ثيابه نقص أو قذر . وهذه الميزة لن تتوافر للحظيّ بها إلا بالتدريج لأن الشعور بكرامة النفس ، وهو الداعى إلى التحلى بمثل هذه الصفات ، بطيء النمو . وحسبنا أن ينبت غراسه ، لأن النبت عنوان الوجود والوجود خير من العدم . وليكن توجيه النصح الى الأطفال بالنسج على هذا المنوال أكثر منه الى البنات ، لما بين الجنسين من الفوارق التى تجعل الرجل أقل استعداداً من المرأة للتعلق بالأزياء الجميلة ورعاية النظافة وحسن الهندام .

السعداء من الابناء

يحب الوالدون أبناءهم . إلاّ أنهم لا يستطيعون قضاء مطالبهم وسد مشتهياتهم كلها بما يناسب ثروتهم . ولكن الأم الواسعة الحيلة فى التدبير تستطيع ، بالدراهم القليلة ، إدخال الفرح والهناءة على أبنائها بأتحافهم من اللعب ما يوافق ثمنه حال الغنيّ والفقير .

ومن الضرورى لتوفير الهناء للطفل ، ألا يراد على ما يجزع منه طبعه ، وإلا تصنع الطاعة وأصبح الرياء من خلائقه ، فى حين ينبغى أن تكون الصلة بينه وبين والديه قائمة على الثقة بهما والاطمئنان إليهما . وفى تصرفاته اليومية ، حتى ما يستدعى منها المؤاخذة والتعزير ، فرص كثيرة يغتنمانها لتوثيق عقدة تلك الثقة التى يترتب على بقائها إعدادهما إياه لمستقبل سعيد .

ولا مندوحة ، في تأديب الأطفال وتثقيف أخلاقهم ، من التجاوز عن بعض هفواتهم تجاوزاً يحسون معه بالحنان

الأبوى مشجعاً لهم على الجهر بمرادهم واطراح الكتمان الذى كثيراً ما يحول دون تصريف فعالهم الى مناحى الخير وتوقيتهم مزالق الشر والهلاك .

وللولد فى طفولته حق بائن فى الاستمتاع بالهناءة ونعيم البال . فمهما أصاب أبويه من الأكدار ولحقهما من الغموم ، غير جائز لهما إشراكهما إياه فيها وتكديرهما صفاء حياته الطاهرة . إذ الواجب أن يقضي الصغار عهد الطفولة جاهلين بالمصائب الملمة بالنوع البشرى والآلام التى يعانيها الناس فى الحياة الدنيا . فأن تكن الأم ضعيفة القوة أو خائرة العزيمة فلتبتسم فى وجهه ولو تكلفا ، وإن تكن عصبية المزاج فلا تنفث فيه سموم الانفعال المترتب على فساد مزاجها . ذلك لأن حنان الوالدين عاطفة غريزية لا تفارقهما لتأصلها فى نفسهما ، لاعارض طرآنيّ يزول بزوال سببه . فعلى الأم إذن أن تحرص على البشاسة فى حضرة أبنائها ، مهما يكن ما بها من عوامل الأسى والألم ، بل أن تتكلف الاهتمام بكل ما يبدو لها أنهم يهتمون به ، ولو أثقلت عواهنها أعباء الشؤون المنزلية . ولا شك فى

أن هـذه العناية وهـذا العطف يحملانهم على الاغتباط بهـا ويبثان فى نفوسهم الشعور بسعادة توثق عرى ارتباطهم بها ·

وليسمح الوالدون لأبنائهم بدعوة رفاقهم إلى البيت ، وبأجابة دعوة هؤلاء إياهم إذا دعوهم . فأن النفوس بهذا الاختلاط تأنس بعضها ببعض وتشتد بينها عرى الألفة والوداد .

وإذا وعد أحدهم ولده مكافأة بمال أو تحفة فلينجز الوعد ، حتى لا يتطرق إلى قلبه بالخلف سوء تأثير الفشل وحبوط الأمل والشك فى صدق وعود أحق الناس بالوفاء فى نظره ، وما أشد خطر زوال الثقة بين الولد ووالده !
وإذا كان متلهيا باللعب فلا تطالبه في قضاء حاجة لك إلاّ لضرورة ، ذاكراً له أهمية السبب الذى اضطرك إلى منعه عن مواصلة اللعب . ولا تعوده رفض طلباته . فأذا رفضتها كرها فأطلعه على مسوغات الرفض وابذل قصارى جهدك لاستطلاع أسراره واستكناه مخبئات أفكاره ، حتى تسدد خطواته إلى ناحية الخير . وإذا اعترف بأمر فرض

منه ، فترفق به فى الملاحظة عليه والتحذير . وكن له والداً رحيما لا قاضيا صارم الحكم . وعوّده الطاعة والاحترام وحب الخير ، فأنه إذا أدرك مزايا هذه الفضائل وعمل بها من غير إكراه كان فخراً لك فى حياتك وبعد مماتك .

الأدب بين الأب والأم

إذا رأيت البنين والبنات فى وجوم وحيرة ، يودون لو يهجرون البيت ، فما هو إلا لجريان الأحوال فيه ، بين الأب والأم ، على غير مقتضى الواجب . كأن تغفل الأم عن تثقيف الأب — إذا لم يكن مثقفاً — بما توافر فيها من محامد الخصال . إذ للزوجة المهذبة ، إذا أنست من زوجها انحرافاً عن جادة الأدب . أن تنبهه بلطف إلى هذا الزيغ فلا يسعه إلا أن يتشبه بها فى مكارم الأخلاق ، ولو كان كالوحش نفوراً وجفاء .

والابناء ، إذا رأوا والديهم يعامل كلاهما الآخر على مقتضى الأدب والمعروف ويتبادلان المحبة والاحترام ،

لا يعانون كلفة فى حبهما والجري فى معاملة بعضهم البعض على خطتهما ، فتتوافر فى البيت عندئذ أسباب السعادة والهناء .

وإذا كان فى طبع الأب شيء من الجفوة وسوء المعاشرة ففى قدرة الأم ، بما لها عليه من الدالة وبما وكل اليها فى البيت من السيطرة على كل شيء ، استئصال تلك النزعة من قلبه . فأذا فرطت فى القيام بهذا الواجب فقد استحقت صنوف الملاوم . لأن الأم ، بما أودعه الله فيها من فضيلة الصبر وإنكار الذات ، واتيح لها من القدرة على النهوض بأصلاح الأحوال البيتية والسمو بها إلى أبعد الغايات ، تستطيع تهذيب أبنائها وتقويم المعوج من أخلاق زوجها ، بجعلها نفسها قدوة حسنة لهم ومثالا يتمثلون به .

تلك هى الخطة القويمة الحكيمة التى تترسمها الأم العاقلة السديدة الرأى . أما المتهورة الجزوعة ، فقلما تتصل مع زوجها بقول أو فعل ، من غير أن يفضي ذلك بينهما إلى شجار عنيف ، حتى أنه ليحدث أن تهم بتنبيهه إلى الصواب أو تذكيره بالحقيقة فى أمرها ، ولكنها تتوخى فى التعبير

عن مرادها ألفاظ الهجر والعداء والصياح بالصوت الذى يسوءه أن تردد الأرجاء صداه، فلا يسعه إلا العمل بعكس ما أشارت به ونبهت عليه .

فمن الواجب عليها ، إذا كان زوجها بالغاً ذاك المبلغ من العناد والفساد ، أن تذهب إلى ضد ما يذهب اليه وتتمسك من الأخلاق بما هو عاطل من حليته ، ليؤثرها أبناؤها على والدهم في الاقتداء بها ؛ فتتكفل لهم بخطتهم الحكيمة الفوز فى معترك الحياة .

ادب الوالدين مع الابناء

يطالب الرجل أبناءه بالاحترام له ، كما يطالب كبيرهم الصغير به لنفسه ، باعتبار أن منزلته منه كمنزلة الوالد من ولده . وإنما يحسن بالوالد وابنه الكبير ألاّ ينسيا ما للصغار عليهما من حق الاحترام أيضاً ، عملا بناموس التبادل بين المخلوقات فى مرافق الحياة . فأن أهل الطفل كثيراً ما يسخرونه فى قضاء حوائجهم بعلة أنهم يذوقون فى تربيته

الأمرّين ، فيقطعون عليه لعبه ولذته برحه أو يحرمونه إياهما . وربما أضافوا إلى افتياتهم هذا على حقوقه ، نكران الجميل فتحاشوا عن الشكر له تلقاء خدمته إياهم فيستفزه ذلك إلى عصيان أوامرهم ، فلا يعود يلتفت إلى ما يؤمر به ولا يبادر بتنفيذه .

فمما يحسن بالوالدين ، إذا أراد أحدهما أو كلاهما تسخير الطفل فى عمل ما ، أن يبشا فى وجهه أولا ثم يكلفانه بما يرومان قضاءه على يده . فأذا قام به ، شكرا له فعله وجاملاه باللفظ الحسن المشجع على الطاعة ، فأنه لا يلبث أن ينشط عند كل أمر منهما للمسارعة إلى تنفيذه .

والواجب عليهما ، إذا عهدا اليه عملا ، أن يتحينا لمطالبته به أنسب الفرص . فأذا كان فى لعبه ولهوه فليتركه وشأنه ما لم تكن الضرورة ماسة إلى غير ذلك . وفي هذه الحالة ينبغي بيان وجهها له ليقتنع بها . فأذا أنجز المهمة المعهودة اليه على غير ما يراد ، فلا يُنسى القيام بحق الشكر له .

وخليق بالوالدين ألاّ يضنوا على أنفسهم بلذة هذه الملاطفة التى ترتاح لها أفئدة أبنائهم ، ويطمئن بسببها بالهم وتنشرح

صدورهم .

وإذا همّ الوالدان بالشتم ، فلا يصوبا سهامه إلى ولدهما الذى هو فلذة كبدهما وفرع دوحتهما . وليتحاشيا أمره بصوت الشدة والعنف أو بتعبيس الوجه . فأن الواجب أن يكون الخطاب له لطيفا لينا فيقال له : « هلم إلى العمل ياعزيزي » أو : « كفاكِ لعباً ياحبيبتي » . وبهذه الرقة فى التعبير يخضع الأطفال للأوامر بلا تردد ولا مساومة ، وينفذونها على خير ما يبتغيه الآمرون .

أدب الاولاد مع الوالدين

لا يحسن بالأم الاغضاء على مخالفة الولد واجب الأدب والاحترام نحوها ونحو والده . بل تجب مطالبته به نحوهما ونحو اخوته وأخواته لما يترتب عليه من اعتيادهم التساهل بعضهم مع بعض في الجد واللعب والعمل والبطالة . لأن البيت الذى يعيش الابناء به فى شقاء وخصام أجدر بأن يسمي الجحيم لا دار السلام والنعيم .

وفي مستطاع الأم تهذيب أبنائها وتنشئتهم على مبادىء الأدب ، بأن تجعل نفسها قدوة لهم فيها . فلا تسمح للصغار منهم أن يعبثوا بكتب الكبار وأدوات دراستهم نكاية فيهم ، ولا تضن بابتسامة الاستحسان على كبارهم إذ رأتهم يتنحون لمن هم دونهم سنا عما لا يفيدهم من الأدوات التي أصبحوا في غنية عنها .

ولها ان تنبههم جميعاً على وجوب صيانة آثاث المنزل ووقايتها من العبث ، حتى لا يتكبد الوالد إنفاق المال على ترميمها أو تبديلها من غيرها . وتزيد على هذا التحذير أن تعودهم النظافة وحفظ النظام فى البيت ، احتفاظا بحسن رونقه ودفعا لعناء الاهتمام بأعادة تنسيقه . ومتى أصبحت هذه الخصال الشريفة ديدنا لهم وعاملتهم بالحسنى والملاطفة تيسرت لها تربيتهم ، لما يكون قد قوي فيهم من الشعور بواجب الاحترام لأنفسهم ، وهو الشعور الذى يجعل أصحابه نافعين للبلاد والعباد .

*

احترام الآباء والأجداد

يجمل بالأم أن تغرس فى نفوس الأطفال احترام الأجداد الذين هم مصدر حياتهم ، وترفع شأنهم فى نظرهم بمطارحتهم الحديث ، كلما لاحت فرصة ، فيما يبدونه لهم من الرعاية وما قاموا به فيما مضى من سنى حياتهم المباركة من جلائل الأعمال الدالة على شرف غاياتهم .

وإذا كانت بهم نقيصة ، فلتسترها عنهم . ولا تجعل لهم سبيلا إلى استكشافها . ومتى نمت فيهم فضيلة الطاعة والاحترام ، وَزَعَتْهم عن نقد أجدادهم وآبائهم فيكبر عليهم أن يرميهم أحد بما يثلم شرفهم ويحط من مكانتهم .

وعلى الأم أيضا أن تمهد أبناءها بأنماء عاطفة الأخلاص لأبيهم فى نفوسهم ، وهذا لا يتأتى إلا بشرح ما هم مدينون به له من وجودهم حساً ومعنى . فأذا صرفت فى هذا السبيل همتها جمعت شتات الأسرة ووثقت عرى الألفة بين أفرادها توثيقاً يتوافر معه فيها معنى الاجتماع

العائلي الصحيح ، حيث يكون الابناء خير معوان لوالديهم في وقت الشدة وناهضين بحق الشكر لهما على ما يطوقان أعناقهم به من نعمة التربية والتهذيب .

وهي لن تصل إلى مثل هـذه النتيجة المبتغاة إلا إذا أحاطت الوالد بصنوف الحب والاحترام وأمسكت عن الشكوى منه للناس عامة ولأولاده خاصة . إذ لا ينبغي أن يقف الأولاد على شيء من وجوه الخلاف بين الوالدين ، لما يترتب على جهلهم بها من حصر أسباب الشقاء في الاسرة وتوافر وسائل العيش لهم في سعادة ونعيم بال . ومتى ناهز هؤلاء سنّ الأدراك ، رأيتهم يتفانون في حب تلك الأم الحكيمة التي لم تنبس شفتاها لهم بكلمة شكوى ربما هدمت ما شادوه من صروح الأمل فيها وحسن الظن بها .

ولقد مضى الوقت الذي كان رب البيت يصدر فيه الأوامر غير معللة بسبب معقول ويطالب بالأذعان لها . وإنما لا ينبغي ، مع هذا ، أن يتجرد بالمرة من النفوذ المنزلي ويلقي زمام الأمور في داره على غاربها . فأن الواجب على رب البيت أن يكون في سلوكه وسطا بين الشدة واللين ،

وألا يميل إلى أحد الطرفين إلا لسبب ينتظر منه تأييد نفوذه . وقلما عصى الابناء والدا التزم حياله خطة الاعتدال والعدل ، وقام بفروضهم ولم يأت أمامهم منكراً ، مما تزل فيه أقدام الابناء كاحتقار الآباء وامتهان الأمهات ، فأنما هم جميعاً أجداد أولئك الابناء .

ألا ترى الحفيد ، إذا وبخه جده ، فزع إلى أبيه أو أمه فيقول أحدهما : « لا تجزع يا بنيّ ولا تلتفت إلى جدك فأنه لا يفهم شيئاً » وتقول الأخرى : « دعه يقول ما يريد فأنه يهرف بما لا يعرف » الخ الأقوال التي لا يحسبون لعاقبتها الوخيمة حسابا ؟

حقاً إن للآباء والأمهات أن يجهروا بحبهم ابناءهم وأن يدافعوا عنهم . إلا أنه لا يليق أن ينزل الحب بهم إلى الظهور حيالهم فى مظهر من الضعف يغضون فيه من كرامة رجال بلغوا بفضلهم إلى أبعد الغايات ، وربما دون التاريخ لهم من جلائل الفعال ما يشهد بفضلهم ويخلد ذكرهم . ثم كيف يطالب والد ولده باحترامه ، إذا كان لا يحترم والده ولا يصون عن الابتذال كرامته ؟

والمأثور عن الصينيين أنهم يذهبون فى احترام الأجداد المذاهب البعيدة ويغالون فيه إلى حد أنهم جعلوه ركنا من أركان عباداتهم. ومكانة المرء عندهم لا تقاس بمكانة الجدّ أو الأب فى الاجتماع وإنما بقدر احترامه إياهما. فهل لنا أن نقتدى بتلك الأمة فى احترامنا لأجدادنا وآبائنا؟

اسرة الوالد

فرض على الابناء محبة أسرة والدهم واحترام أفرادها. وهم مطالبون بالجهر بهذا الحب، استئصالا للعادة الفاشية بين الأمهات من إيعازهن اليهم بكراهتها طمعا فى قصر محبتهم على أسرتها، بوصف أنها أسمى مكانة من تلك، وبالتالى أحق بهذا الإيثار.

وكثيراً ما يتيسر للأم تسيير ابنها فى هذا السبيل، فتكون النتيجة أنه يوقر جده وجدته لأمه وخاله وخالته، دون جده وجدته لأبيه وعمه وعمته.

ويتفق أن يخطىء الطفل فتقول له أمه « ما أشبهك بعمك ! » ، ولابنتها « ما أشبهك بعمتك! » . وهى بظاهر هذا القول لا تقع في نقيصة الكذب ، إذا كان المراد به الشبه الحسيّ . أما وهي ترمى إلى الشبه المعنوى ، فليس المقصود منه غير تناول إخوة زوجها وأخواته بالقدح المعيب لمجرد قرابتهم له . وهى تبثّ به فى نفس الابن الكراهة الشديدة لأسرة أبيه والنفور من أفرادها إلى حدّ أن يرى ، فيما لو دعاه داعٍ إلى الامتزاج بهم فى شأن ، متظاهراً بالسموّ عليهم والاعراض عنهم ومتأففاً من الصلة بهم ، ولو عطفوا عليه بمحبتهم ووالوه برعايتهم وعنايتهم . ولا يبعد ، إذا تأصلت فى نفسه الكراهية لهم ، ألا يغفر لأبيه انتماءه لأسرة مثلت له منذ صغره فى أقبح الصور ، وأنه يمتّ إلى أفرادها بحبل القرابة . وربما استاقه الغرور إلى اعتبار هذه الصلة عاراً يجب على أبيه أن يمحوه ، صوناً لكرامته واحتفاظا بمنزلته .

الأم التي تغرس فى قلب وليدها بذور هذا العداء ترتكب إثما مبيناً لتقصيرها فيما يتحتم عليها من توفير أسباب الهناء

للأسرة هى عمادها الوطيد ، بغرس بذور الحب والاحترام للكبار في أفئدة الابناء . وكيف تبيح الأم لنفسها أن تحمل هؤلاء على حب فريق من الأقارب دون الآخر ، مع علمها بأنهم لن يصلحوا لأن يكونوا فى المستقبل رجالا يعتدّ بهم ، إلا إذ طهرت نفوسهم من دنس الأحقاد الذى إذا لصق بها تعكر صفاء الأسرة وانقطع فيها ما أمر الله به أن يوصل .

لا قوام لأسرة بلا تضامن بين أفرادها يجمع شتاتهم ويقوى ضعفهم ويغنى فقرهم ، ويكون لهم سياجا يدفع عنهم غائلة العدوان والافتئات . ومن فضيلة التضامن أنه إذا زلت قدم أحد أفراد الأسرة فى محظور ، كأن انحرف عن جادة الحق أو أتى ما لا يبيحه كرم السجايا ، أن نغفر عيبه ونقوم عوجه ونقيله من عثرته لا أن نشهر به ونوصد أبوابنا فى وجهه ونمحو من ديوان أسرتنا اسمه .

وإذا كان هناك ما يحول دون إقالة العاثر وهداية الضالّ ويوجب البعد عن مخالطته ، فلا تذهبن بنا القسوة الى هجره وإغفال شأنه وتجاهل أمره . بل الواجب تعهده

ومؤاساته لتخفيف همه وتفريج كربه وطرح أثقال الأمر عن كاهله .

التربية الخاصة للابناء

يطلب من الأم أن تغرس الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة فى نفوس ابنائها ، وتستأصل منها العيوب الفطرية متى لاحت فيهم لوائحها ، وأن تسهر على تهذيبهم فلا تغضى على قبيح من فعالهم .

وينبغى أن تكون الأمانة أول ما تلقيه عليهم من دروس الأدب . فأذا امتدت أيديهم إلى قطعة سكر أو فاكهة أو حلوى ليخفوها فى بطونهم على غير علم منها ، أنكرت عليهم هذا الفعل وقبحته وبينت لهم ما يترتب عليه من تلوث الشرف وانحطاط الكرامة ، فأنهم لا يلبثون أن يدركوا معنى الأمانة وأنها فضيلة تضادها الخيانة ، وهي التى ارتكبوها عن غير قصد .

ولتشدد عليهم وطأة التأنيب إذا ارتكبوا الصغائر ،

كيلا يتدرجوا منها إلى الكبائر . فتنبههم إلى أنهم قد خسروا ثقتها فيهم وأنهم لن يستردوا هذه الثقة إلا إذا عاهدوها على سلوك طريق الأمانة .

ولتتحاش الاكثار من التوبيخ أو تكراره ، ما لم تكن هناك حاجة اليه . على أنه خير واقٍ للأطفال من الأثرة التي تطوح بهم في مزالق الخيانة ومعاثرها . ولتصدف بهم عن نزعات الشر ، بما تحوطهم به من الرفق المبنى على بعد النظر وصدق الروية . فأذا أتوا عملا محمودا راعت القصد في استحسانه ولزمت حد الوسط في الأعراب عن رضاها به ، فتقول للمحسن منهم « عملك هذا قد سرّنى » أو نحو ذلك .

وينبغي أن تمنعه من الأساءة إلى إخوته الصغار والحيوانات التي لا حول لها ولا حيلة ، وتغتنم هذه الفرصة لتفهيمه أن المروءة تجافى بصاحبها عن الأساءة إلى الضعفاء الذين هم أحوج إلى عونه وحمايته ، وتسم بميسم العار أولئك الجبناء الذين يطأطئون الرأس أمام الاقوياء ، ثم يظهرون بمظهر الليوث أمام الوضعاء والضعفاء .

على أن تلقيحها إياهم بلقاح الخير لا يفيد إلا أثناء التربية الأولى التي تخولها السلطة عليهم . فيا أيتها الأم اللبقة الحريصة على مستقبل ابنائها ! اجعلى شرائف الغايات وغوالي المقاصد هدفا لهم ثم وجهى اليها على الدوام أنظارهم . فأنهم لا يخرجون من كفالتك الوالدية حتى يقرطسوا فيها سهامهم أو ينسابوا منطلقين كأفراس الرّهان سبقاً اليها ، وهم بالغوها لا محالة إذا بقوا على التمسيك بفضيلتى الصدق فى القول والعدل فى الحكم على النفس والغير ، فى صغائر الأمور وكبائرها .

فبّحي فى نظرهم رذيلتى التحيز (بالرشوة) والتجسس على الناس (بالجزاء الموعود) وغيرهما من خلال السوء ومسالك الدناءة والسفال . صوّرى ذلك لهم فى أشنع الصور وأبشعها ، إذ لا رذيلة تهوى بصاحبها إلى الدرك الأسفل كتلك الرذائل الفاضحة . ولا تذمى على مسمع منهم شخصا أو شيئاً تعلمين أنهما بالحمد أحق وبحسن الثناء أخلق ، بل كرّرى مدحهما على مسمع منهم حتى يعدلوا عن سوء الاعتقاد فيهما . كونى لهم قدوة صالحة فى فعال الخير يسيروا

على منهجك القويم . وليكن فى طليعة هذه الفعال النهوض بالواجب وخدمة الانسانية ، فأننا فى وقت اصبح التحاب فيه بين الشعوب فرضاً واجباً وحقيقة لا يختلف اثنان فيهـا لبداهتها .

البساطة وحب العمل

يتمنى الأب والأم لولدهما المستقبل الباهر ، فتراهما فى طفولته لا ينفكان عن الافتكار فيما ينبغي أن يزاوله من الأعمال عندما يبلغ مبلغ الرجال . وهذا الحرص شعور غريزي يحمدان عليه . وإنما يجب ألا يتخذاه ذريعة إلى الرغبة فى جعله عداد الجشعين الذين لاهمّ لهم إلا تحصيل المال من أي وجه ، ولو ترتب على غناهم فقر غيرهم . ومن الواجب على الوالدين لأبنائهم ألا يرسموا طريقاً لمستقبلهم يؤدى إلى تلك الغاية الخسيسة ، بل يبثوا فى نفوسهم فضيلة الجد والمثابرة على العمل ، حتى إذا شبّـوا عليها اتجهت خطواتهم إلى أبعد الغايات المحمودة .

ولكي يكون ولد اليوم رجل الغد ، بجدّه وكدّه ، يجب على والديه ، مهما تكن ثروتهما ، ألا يمهدا له الوسائل للعيش فى ظل الرفه والنعيم ، لما يترتب على ذلك من إخلاده إلى الراحة وطلبه الملذات المتلفة للمال والبدن . بل أن يحملاه بالعظات والعبر على احتقار البذخ والترف والمظاهر الكاذبة التى تدفع بالمرء إلى مهاوى الانحطاط الأدبىّ والعقلىّ معاً .

وإذا كان الوالدان من أهل الطبقة الوسطى فأحرِ بهما أن ينشئا ولدهما على اطراح تلك المظاهر واحتقارها مع الاذعان لمقتضيات الضرورة . فأن نفسه تسمو بهذه التنشئة إلى سماء العزة والكرامة وتنزع إلى معالى الرتب بالجد والاجتهاد فى العمل والصدق في القول والتعامل .

ومن أقدس واجباتهما ، مهما تكن مكانتهما في المجتمع أن يعوداه قمع الشهوات النفسية والهيمنة على النزعات والميول . فأذا قبض على مقاليد نفسه وسخرها لارادته أعرض عن الشهوات مترفعاً ، مستتبعا طريقه إلى سدرة منتهى المجد والفخار .

ولن تنال هذه البغية الشريفة إلا بترك الكسل

والتوفر على العمل . وخليق بهما استفزازهم الابناء إلى تحصيل العلوم والمثابرة على مدارستها وإفهامهم أنه بدونها لا يتسع نطاق العقل ولا يؤهب المرء للعمل الصالح لوطنه وأمته وعشيرته وآله الأقربين .

والحذر من حثهم على السبق فى الدراسة بقصد السمو على الأقران والفوز بالنجاح فى الامتحان . لأن الحث ، إذا لم يقصد به الحض على تحصيل العلم لذاته ، لمن أضر الوسائل بالآداب الفطرية وأفتكها بكل أثر لمكارم الأخلاق . إذ سرعان ما يتحول التنافس بسببه إلى حسد ينطوى على تمنيهم الخير لأنفسهم والضرر لغيرهم .

وليس الغرض من الدرس مجرد السبق على الأقران بل العلم لذاته . وأنعم بها من غاية تعلو درجات علي غاية السبق الذى يقصد به إلى الفخر الباطل . وإنما يعمل الانسان فى الحياة لا ليقال عنه أنه سبق فى حلبة الرهان وفاق على الأقران ، بل ليضمن له فى الحياة مستقبلا ركناه السعادة والاستقلال . دع ما فى العمل ذاته من المزايا الباعثة على الأجلال والاكبار . والولد الذى يفتح مغاليق ذهنه

لهذه المبادىء العالية ، ينزل فى معترك الحياة غير هياب ولا وجل ، لقدرته على كبح شهوات النفس وجعل مطالبها مطابقة لحاجاته .

مسامرات الاهل والابناء

إذا شبّ الطفل وترعرع وانتظم فى سلك الشبيبة تعذر إرغامه على لزوم البيت ، لما فى طبعه من النزوع إلى قضاء ساعات الفراغ خارجه .

على أن الأب الذى يعمل ليكون ابنه زينة له فى الحياة ، بالخلق الكريم والسير فى الطريق المستقيم ، لا يبيح لولده التخلف عن البيت ، خصوصا إذا أرخى الليل سداله . لأن الولد إذا ألقى حبله على غاربه استتر برداء الليل للمضي فى غلوائه ، وقلّ أن يهتدى إلى نور الاستقامة الوضاح ، لأنه لا يلبث أن يتنكس فى حمأة الفساد .

يخيل لهذا المسكين أن الليل ستار يحجبه عن أعين الرقباء ، فينطلق في مهامه الشر والغواية . يبدأ بتعلم

التنكيت والتبكيت مخدوعاً بأساليبهما الرقيقة المستظرفة ، فأذا به وقد انتقل منهما إلى المزاح المؤلم والمطايبة المرذولة التي لا تلبث أن تلقى به في تيار السفهاء والهمل المتشردين .

فلا يبيحن أحدكم لابنه ، إذا ما غربت الشمس ، أن يجوس خلال الدور . لأنه إذا لم يوفق في وضح النهار لاتيان السيئات والمنكرات ، فله من فحمة الليل ما تطمئن نفسه به إلى ارتكابها . والليل كما قيل أخفى للويل . ومهما تكن ثقتكم بالابناء فلا تدعوهم يفرون من جانبكم حتى تتربي فيهم ملكة حسن التصرف وصدق الحكم على الأشخاص والأشياء . فأنه ، مع افتراض حسن النية وشرف الميل واستقامة السلوك من جانبهم ، يخشى عليهم من قرناء السوء المعدوى بوباء أخلاقهم الشريرة . وما إرخاء العنان لهم يغدون ويروحون ليلا كما يشاءون ، إلا الحض الصريح لهم على الشر وغشيان مواطن الفساد والضلال .

ولكن ماهي الوسيلة لاستبقاء الأطفال في منازل آبائهم ؟ إن هناك وسيلة تكفيهم مؤونة الشدة معهم في التحذير أن يجعلوا المقام في البيت مستملحا محبوبا ، وأن

يبدأ الآباء قبل الابناء بلزمانه ، وبهذا وحده تنفك عقدة الأشكال . ويحسن بالوالدين عندئذ ، لقضاء الوقت فيما يقر النواظر ويشرح الصدور ويفيد العقول ، عمل التجارب العلمية أومطالعة النوادر الأدبية والحوادث التاريخيه ، إلى غير هذا مما يفتق الذهن وينبه الأدراك ويوسع المعلومات ويرقى العواطف .

وثمة مسئلة جديرة بعنايه أرباب الأسر ، وربما كانت من ألطف الحلول لعقدة تعليم الابناء : ذكوراً وأناثا ، بعض الفنون المستظرفة وهي أن يدعوا الذين تعلموا منهم العزف بالآلات الموسيقية إلى العزف بها والذين أتقنوا التصوير بالألوان إلى التفرغ له والذين لا حظ لهم فى هذا ولا ذاك إلى المطالعة التى نجمع الى إفادة العقل رياضة النفس . وكفى بذلك كله ذرائع فعالة تستميل المرء إلى لزمان داره .

والمحادثات العلمية ، فيما يسوق اليه التأمل فى المخلوقات والنظر إلى بدائع الكائنات ، لمن خير ما يقطع به حبل الوقت في المنازل بين الآباء والابناء .

وصفوة القول إن وسائل استمالة الابناء إلى ملازمة البيت ، لتوقيتهم عقبى الاحتكاك بالأشرار ومخالطة قرناء السوء لا يحصيها العد ، إذا اتجهت اليها عناية الآباء الذين يبغون أن يكونوا أسوة حسنة لأبنائهم .

التربية البدنية للفتى والمنزلية للفتاة

يطلب من الأم أن تعود ابنها تمرين أعضائه ورياضة بدنه ، إذا أرادت أن يكون قويّ الأساطين وثيق الأركان سليم البدن من العلل . فتتركه إذاً يركض ويثب ويصعد ويهبط ، ولتعهده إلى معلم الرياضة البدنية ليدربه على حركاتها المختلفة وتمارينها العديدة . ولا بأس من أن تمثل السباحة والفروسية وكل درس رياضي نافع لتقوية العضلات ضمن برنامج هذا التعليم . ولا تمنعه من قضاء شطر وافٍ من وقته فى الهواء الطلق تحت رعايتها أو بمراقبة من تثق به . ولتعوده احتمال البرد والحر فى أوانهما والجوع والعطش والمشاق على اختلافها فى كل أوان ، مع توالى

الحض على صيانة صحته والعناية بحياته .

أما الفتاة فينبغي، في تربيتها، استمرار بقائها تحت رقابة الأم وملاحظتها . والواجب ، منذ انقطاعها عن المدرسة إلى زواجها ، ملازمتها البيت تتلقى فيه الدروس النظرية والعملية فى التدبير المنزلى ، ما لم تتمكن من تطبيقه على العمل فى المدرسة تطبيقا مجديا لكي تستطيع ، إذا تزوجت ، إقامة الدليل على كفاءتها لتدبير شؤون بيتها ولم تفعل فعل الزوجات الجاهلات اللاتى يترفعن عن مزاولة أعمال تزعمن ، للتنصل منها ، أنها لم تخلق إلا للخادمات المسخرات بالمال .

وإذا كانت تلك الحيطة مرغوبا فيها حيال الفتاة ، فى كثير من الأقطار المتمدينة والأمم العالية الكعب فى الرقى الاجتماعى ، فهي واجبة فى قطر كمصر تجاور فيه الزوجة المتعلمة أما وأختا وعمة وخالة جاهلات بل تعيش به فى ظلمات من الجهل طبقات بعضها فوق بعض ، وتنسى التعاليم المدرسية الصحيحة بما تسمعه كل آونه من عبارات الملق التى تفيدها أنها ستكون سيدة بيتها ، يخدمها فيه الكثيرون من الخدم والحشم ، فتصور هذه

الأقوال لها أنها لم تخلق إلا لتستوى بعد زواجها على عرش الأمارة المنزلية ، تأمر الخدم وتنهاهم من بعيد دون أن تكلف نفسها مراقبة شؤون بيتها .

ولا يبعد أن تترفع عن تفقد المطبخ خشية تلوث ثيابها بالقذر أو انحطاط كرامتها بغشيان مكان يألفه الخدم . وهذا الترفع مشاهد كثيراً فى بلادنا وهو موضوع شكوى الأزواج كل يوم . ولا علاج له فيما نرى إلا ما ذكر من ضرورة قضاء بعض الوقت فى التدرب على الاعمال المنزلية ليسهل تطبيق العلم عليها تحت رعاية الأم وبفضل ارشاداتها الحكيمة .

الفتاة المدبرة للمنزل

الأم العاقلة تنشىء ابنتها على احترام العمل المنزلى لذاته ، وتنقش فى ذهنها أن الكسل والمضى مع الأهواء من الرذائل الواجبة الاجتناب . فلتباشر بلا خوف تدريبها على تطريز الثياب وغسلها وكيها ، وتحضير الطعام وترتيب

المائدة . وأقل ما فى هذا التمرين من المزايا أنها ، فضلا عما تستفيده من التجارب بأداء هذه الواجبات البيتية ، تعد نفسها لاحتمال طوارىء الزمن بالصبر والأناة .

فاذا فرض أن فتاة لم تطبق ما تلقته فى المدرسة من أصول التدبير على العمل فى بيت آلها اقترنت بذى ثروة واسعة فوجدت ، لكثرة خدمه ، أنها في غنية عن مباشرة شؤون المنزل كلها أو بعضها بنفسها ، فماذا يكون أمرها إذا قلب الدهر لزوجها ظهر المجن فآلت ثروته الواسعة إلى العدم أو ما يقرب منه وانفض من حوله الخدم والحشم ؟ أتبقى بلا طعام ولا نظافة ولا ترتيب ، أم تلزم زوجها بأن يكون ، فى عسره وضيقه ، مثله في ثروته ورخائه !

ويفتخر بعض الآباء بتوسع بناتهم في العلوم الأدبية والتاريخيه ومشاركتهن فى مختلف الفنون . أما التوسع فيها فليس مما يؤخذ عليه ولا مما يعد عارا وشنارا . ولكننا نقرر هنا أن هذا التوسع لن يجديها نفعاً إذا تزوجت ، ولن يفيدها فتيلا فى تدبير البيت . ولا عجب إذا رأيت الاختلال بعد ذلك سائداً فى بيت تعهد إدارته إلى الزوجة

الضاربة في العلوم بالسهم الأوفر والآخذة من الفنون بالقسط الأوفى ، ووجدت الخلاف مشتجرا بينها وبين زوجها فى كل ما يرتبط بتدبير المنزل وتنظيمه .

فواجب علينا إذاً أن نصرف الجهود لجعل الفتاة ربة منزل بالمعنى المقصود من هذا الوصف . لأنها إذا صارت كذلك سهل عليها أن تكون الزوجة الموافقة والأم الصالحة ، وأيقنت أن النساء يتزوجن لا لتحرى الأزياء الجديدة والتريض في المنازه والتلهي فى الملاعب أو التوفر على الدرس والبحث ، وإنما لتحمل عبء مسئولية سعادة الزوج وهناء الأسرة وواجب الأمومة .

كيف تهيىء الام ابنتها للزواج

يحتم على الأم أن تنمى فى ابنتها فضيلة الاستقامة والصلاح ، وأن تنشئها على مقت الكذب واجتنابه . فأذا أفلحت فى هذا السعي أصبح قلب الابنة كالكتاب المفتوح تقرأ فيه ما غاب عنها فهمه من أحوالها واستطاع زوجها

فى المستقبل أن يتصفح هذا الكتاب النفيس المتضمن خير الأفكار وأصدق الأخبار . تلك هى الوسيلة المثلى لجعل الابنة ، فى حالها ومستقبلها ، بكرا طاهرة وزوجا عفيفة ووالدة شريفة ، وأن تقدر آمالها وأمانيها على الزوج المنتظر الذى سيكون قسيمها فى الحياة .

فعلى الوالدات أن يوجهن بناتهن إلى هذه الغاية الشريفة ، وأن يحذرنهن المضيّ مع الأهواء المتلفة والاصغاء لصوت الميول الملوثة للسمعة الدافعة إلى هاوية لا قرار لها .

وعليهن ، فوق ما تقدم ، أن يلقين فى اعتقادهن ، بالقدوة الحسنة أولا وبلطف الملاحظة ثانيا ، ما تقتضيه المعيشة الزوجية من الكرامة ، وأن الاستعداد لها لا يكون بالتبرج الذى يذهب بمعالم الجمال الحقيقي خلقا وخلقا .

ومما يحسن تلقينهن إياه ، قبل الزواج ، التحاشى عن مخالطة الرجال . وهو ما يندرج تحته الأحجام عن البروز لقضاء حاجاتهن بأنفسهن ، ما دام أن لهن من الأزواج أو الاخوة أو غيرهم من الأقارب من يقوم فى ذلك مقامهن .

وإذا تزوجت البنت التى توافرت فيها هذه الخصال

وأدرك الزوج أنه قد حاز بها الشرف الأسنى والصون والعفاف ، فحبذا الزوجة الصالحة ، بل « الجوهرة المصونة والدرة المكنونة » كما يقولون ، وكفى فخراً لها أن تحب زوجها حبا خالصاً من الشوائب . لأن من تحب لأول مرة فى حياتها كان حبها ثابتاً طاهراً .

الصهر وحماته

الأم الذكية الشريفة الغاية لا تندس بين ابنتها وصهرها ولا بين ابنها وكنتها ، بل تبذل قصارى جهدها فى محبة الخير له ولكنتها أيضاً ، وتأخذ نفسها بعدئذ بالتلاشى من بين الفريقين . ذلك لأنها لم تربّ ابنها أو ابنتها لتختص بهما دون زوجيهما ، بل لتغتبط بهما متى أصبح كلاهما ربّ أسرة وذاق لذة المعيشة الزوجية . وكل ما عليهما من الحقوق نحوها إنما هو استمرارهما على القيام بفروض المحبة والاحترام والشكر لها .

وإذا أنست منهما أو من أحدهما صدوفا عنها نحو

زوجيهما اللذين يشاطرانهما سراء الحياة الزوجية وضراءها ، فلا تفتحن باب قلبها للحزن والجزع ، بل عليها أن تلزم جانب الصبر حيال ما تستكشفه من عيوب صهرها ونقائص كنتها ، فأن ذلك خير لها وأبقى لهناء ولديها

وغالبا ما تكون الفتاة قبل زواجها متحلية بالخصال الحميدة . فأذا ما زفت إلى عريسها لا تلبث أن تجد نفسها تجاه حماة قاسية القلب فظة الطبع ، تكنّ لها فى قلبها البغض الشديد ، لاعتقادها انها استأثرت دونها بفؤاد ابنها وعواطفه ، وتثير عليها حربا عوانا بالوشاية والاختلاق اللذين إذا فتح لهما الزوج صيوان أذنه حاد عن طريق الهدى ، فسام زوجته خطة خسف لمجرد أن يرضى والدته ويعدّ فى نظرها من البررة الطائعين . ولكن لا يلبث الشقاق أن يفشو بينهما ، وكثيرا ما يعقبه الفراق .

أم الزوج التى تعامل كنتها بهذه القسوة ، تلبية لنداء الحقد الذى يملأ قلبها وطوعا لنزعات النفس ، لمن شر الآفات فى الحياة الزوجية . ومثلها بل أفدح ضررا وأكبر خطرا منها أم الزوجة التى تفعل هذا الفعل مع صهرها .

فيحسن بالأم أن تقف ، حيال ابنها وابنتها ، المتأهلين ، موقف المحبة لزوجة الأول وزوج الثانية والذائدة عن مصالحهما ، وأن تعاملهما بالجملة كما لو كانا من أفلاذ كبدها . لأنها إذا انتهجت هذه السبيل اتجه اليها الحب والاحترام والشكر من الولد وزوجته والابنة وزوجها ، فصارت هذه العواطف الثلاث بعد زواجهما ضعفها قبله .

وإذا فزعت الابنة إلى أمها بشكوى من قرينها ، فلا تستفزن غضبها ، بل فلتعمل على تسكين ثائرتها ، حتى إذا فاءت إلى رشدها أخذت تبين لها مواقع الخطأ في سلوكها وتصوب قرينها فيما بناه على هذا الخطأ من التصرفات . ثم تحضها علي الصبر والاحتمال والعمل معها على تحسين الحال وعليها أن تتبع هذا النهج مع ابنها فى علاقته مع كنتها ، وإنما بالتزام الرفق والمعروف فى ملاحظتها فان كراهة الشدة من طبيعة البشر ، وبالاحسان يستعبد الانسان .

*

فهرست الكتاب

